

مُحْكَمُ رَوَايَةِ السُّنَنِ !
المَذْهَبُ الضَّالِّ عَنِ الْقُرْآنِ



تَأْلِيفُ
د. هَيْثَمَ طَلَعَت

منكرو السُّنَّةِ

المذهبُ الضَّالُّ عن القرآن

منكروالسنة المذهب الضال عن القرآن/ تأليف: د. هيثم طلعت / ط١/ ٢٠٢٤ م

١٣٨ ص، ٢٢×١٤,٥ سم

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧- ٨٧٢٤٨- ٤-٤

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٣٠٢٩٤

دار النشر: مركز تبصير لتقريب التراث والدراسات العلمية والترجمة

عنوان الكتاب: منكرو السنة المذهب الضال عن القرآن

المؤلف: د. هيثم طلعت

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠٢٤ م

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناسر

مركز تبصير

ويحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملاً أو جزئياً، أو

تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على

أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناسر الخطية الموثقة



للدراسات والأبحاث العلمية والترجمة

العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان - القناطر الخيرية - القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: ٠١١٠٢٢٦٠٠٢٠ - ٠١٠١٩٧٥٧٠١٠

website: <http://tbseir.com>- twitter: @tabseir- Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

منكرو السُّنَّةِ المذهبُ الضَّالُّ عن القرآن

د. هيثم طلعت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ صَحَابَتِهِ
وَأَلِّبَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فهذا كتاب صغير في إثبات بطلان مذهب منكري السنة، وبيان أنه من
أضل المذاهب عن القرآن، بل وهو أحد أكبر المداخل للإلحاد في دين الله.
يبدأ الكتاب بكشف حقيقة حركة التنوير المزعومة وبعض أبرز سمات
دعاتها، ولماذا يتبنى أغلب دعاؤها إنكار السنة.

ثم يوضح الكتاب أخطر أسلوب ينتهجه بعض الملاحدة اليوم حين
يدخلون على المسلمين من باب إنكار السنة.

وفي مرحلة تالية يبين الكتاب حقيقة منزلة السنة النبوية في الإسلام.

ومتى كُتبت السنة النبوية.

وَمَنْ أَوَّلَ مَنْ كُتِبَها.

وهل كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ.

وكيف تعامل سلف هذه الأمة مع رواية الأحاديث، وكيف كانت غيرتهم على سنة رسول الله ﷺ.

وكيف لم يُفرقوا بين حديث آحاد وآخر متواتر.

ثم يتناول الكتاب مجموعة من الأدلة العقلية على بطلان منهج منكري السنة.

ثم يختم الكتاب بكشف أساليب التدليس على أبي هريرة ؓ.

وبيان قامة الإمام البخاري الذي هو آية من آيات الله في الأرض.

فإلى الكتاب على بركة الله.





١- ما هو فكر التنوير؟

ج: التنوير هو حركة عالمية ظهرت في الأساس للحرب على الدين، أو بالأدق: لتحديد الدين جانبًا.

فهدف التنوير هو: إبعاد الدين عن المجتمع.

وقد قامت هذه الحركة بهذا الأمر في أوروبا قبل قرنين من الزمان؛ ولذلك لم تمضِ عقود قليلة حتى تحوّلت أوروبا للإلحاد.

وقد ظهرت مؤخرًا نفس هذه الحركة بالأهداف نفسها في عالمنا الإسلامي.

فهدف حركة التنوير: إزاحة وإبعاد الدين عن حياة الناس.

وفي الواقع ففكرة التنوير تختلف جذريًا عن فكرة الإلحاد، وإن كان كلاهما يهدف لمشروع كفري يبدأ بخفوت التسليم للنص الشرعي في قلب الشباب، وينتهي بضياح الإيمان ومداينة ومعاقرة أي إلحاد.

لكن تظلُّ السمة المميّزة لمشروع دعاة التنوير ليست إلحاد الناس ذاك الإلحاد المادي، وإنما: لا مانع أن يظل الناس مسلمين، لكن يصير إسلامهم إسلامًا شكليًا.

فلا يأخذ الناس من الإسلام إلا بعض المعاني الأخلاقية، وبعض الجماليات في المعاملات، لكن يصبح الدين في الأخير مفرغاً تماماً من محتواه.

فيتحوّل الدين إلى مجرد طقوس تُؤدّى!

والهدف الأساسي من حركة التنوير هو أن يصبح الدين تابعاً لثقافة العصر السائدة، ولا يُظهر أية ممانعة للقيم السائدة مهما كان انفساخها أو انحلالها أو تمييعها.

فحركة التنوير تريد ديناً لا يمانع الشيوعية حين ظهرت في القرن الماضي، ولا يمانع ليبرالية القرن الجديد، ولا يمانع أية فكرة مستقبلية يراها الناس.

وبهذه الصورة فالإسلام يُمثّل مشكلة كبيرة لحركة التنوير؛ لأنّ الإسلام الذي أنزله الله على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ بالحق، هذا الإسلام يدخل في كل كبيرة وصغيرة في حياة الإنسان، ولا طريق فيه لمداهنة الباطل أو الفساد، ولا يقبل أية صورة من صور الإلحاد.

ولذلك فهذا الإسلام عند حركة التنوير مرفوض مرفوض مرفوض.

فهم يريدون أمة من الناس لا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً.

وقد أخبر الله ﷻ عن حال الناس في آخر الزمان، وأنّ هذا سيصير حالهم فعلاً.

قال النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطه من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً" (١).

فدعاة التنوير يريدون التعجيل بهذه المرحلة.

يريدون التعجيل بتدجين هذه الأمة بالكامل حتى تفقد أية مقاومة مقدسة، وتفقد الغيرة على أي ثابت من ثوابت الشريعة.

يريدون أن تفقد الأمة استعلاءها بإيمانها، فيصير المسلمون: "حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يَغْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئاً" (٢).

وعلى أمثال هؤلاء تقوم الساعة.

فالساعة ستقوم على الذين تم تدجينهم بالكامل، ممن لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، وبالتالي لا يكون لإيمانهم اعتبار في قلوبهم، ولا ينشغلون بعقيدتهم، ولا يرفعون بها رؤوسهم، فيصирون أتباعاً لأية قيم سائدة مهما كان شذوذاً أو انحلالاً لها.

فعلى مثلهم تقوم الساعة، قال رسول الله ﷺ: "يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَلِأَوَّلٍ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يَغْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئاً" (٣).

(١) مسند أحمد، م ١١ ص ١٦١، درجة الحديث: صحيح.

(٢) قال رسول الله ﷺ: يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَلِأَوَّلٍ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يَغْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئاً. صحيح البخاري، ح: ٤١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

وأمثال هؤلاء لا تتمعر وجوههم غضباً أمام انتهاك محارم الله، ولا ينشغلون بها أصلاً.

قال رسول الله ﷺ: "يُخَرَّبُ الكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ"^(١).
وفي الرواية الأخرى: "فيهدهم حجرًا حجرًا، ويُرْمِي بها في البحر"^(٢).

تخيل!

تُهدم الكعبة حجرًا حجرًا، ويُرمى بها في البحر، ولا أحد يعترض.
ومن سيعترض سيكون ضد التنوير.

فحتى تكون تنويريًا، تقبل هدم مقدساتك.

ولياك أن تعتزّ بدينك.

أو يتمعر وجهك لانتهاك مقدساتك.

هم يريدون هذا النوع من الإسلام، ويسعون لظهوره.

يريدون إسلامًا عالمانيًا.

يريدون إسلامًا مُمِيعًا.

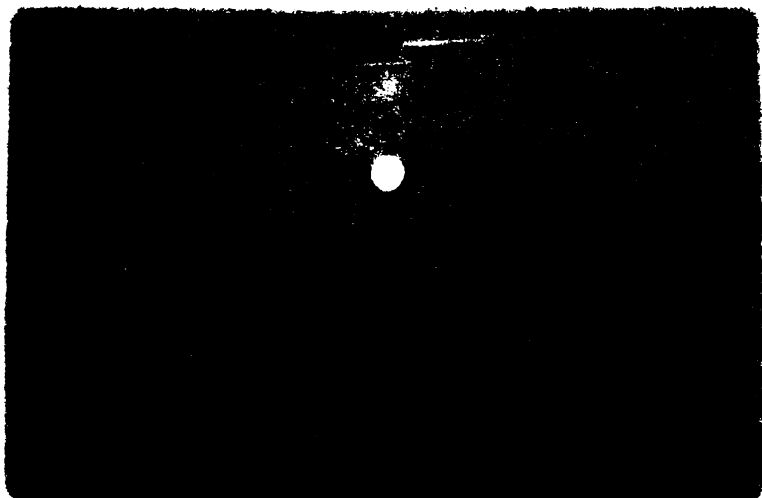
يريدون إسلامًا رخيصًا في قلبك.

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ١٥٩١... صحيح مسلم، ح: ٢٩٠٩.

(٢) عارضة الأحوذى، ابن العربي، م ٦ ص ٢٥٢، درجة الحديث: صحيح.

يريدون إسلامًا بنكهة البوذية.

فإذا جلست وعملت جلسة الاسترخاء والتأمل الخاصة بك، وأخذت الطاقة الروحية التي تحتاجها، فالآن يمكنك أن تنطلق للعمل.



هذا هو منتهى الدين عندهم.

مجرد استرخاء طقوسي.

يريدون تبويد الإسلام (تبويد: تم نحتها من لفظ البوذية).

يريدون إفقاد الإسلام معناه.

ومن العجيب أن مشروع دعاة التنوير بدأ ينتشر في بلادنا الإسلامية، وأصبحت هناك برامج تُنكر الأحاديث النبوية علناً، وبرامج ثانية تدّعي تنقيح كتب التراث، وثالثة تدّعي تجديد الخطاب الديني، وطبعًا هناك

تجديد مطلوب للخطاب الديني ستتحدث عنه فيما بعد، لكن مشروع حركة التنوير ليس هدفه تجديد الخطاب الديني، وإنما هدفه إسقاط قيمة الدين من قلب الشاب المسلم والفتاة المسلمة، فهم يعمدون إلى إسقاط تسليمنا للنص الشرعي بالهجوم على السنة النبوية، والسخرية من سلف هذه الأمة، وتأويل القرآن وفق أهوائهم.

إذن فغاية حركة التنوير هي: تأويل النص الشرعي بإخراجه عن معناه وعن مراد الشارع منه حتى يتوافق مع الثقافة التي يريدونها، فيقبل المسلم أية قيم سائدة مهما كان تفسُّخها.

إذن فالهجوم على السنة النبوية، والهجوم على منهج العلم الحديثي في جمع الحديث النبوي، وازدراء علماء المسلمين كالبخاري، والهجوم على سلف هذه الأمة، ونقد التراث، كل هذا حتى يتسنى في الأخير لدعاة التنوير أن يؤولوا النص الشرعي بإخراجه عن معناه وعن مراد الله منه؛ فيتوافق مع أي تصور دنيوي يريدون، وبالتالي لن تكون هناك ممانعة من تقبل أية ثقافة وافدة، ولو كانت شذوذاً أو إلحاداً أو زناً بالتراضي.

ويبدأ مشروع دعاة التنوير دائماً بالهجوم على أهل العلم وحملة الشريعة، والاستخفاف بسلف هذه الأمة، فإذا سقطت قيمة أهل العلم تسنى لهم في مرحلة تالية تأويل النص الشرعي بإخراجه عن سياقه، وعن معناه، وعن مدلوله لموافقة أي هوى يريدون.

ويمكنهم في هذه المرحلة تضعيف ما ثبت من أحاديث؛ لأن الذين نقلوا هذه الأحاديث هم العلماء الذي تم تجريحهم منذ قليل.

وسيقوم دعاة التنوير بإنكار ما أجمعت عليه الأمة، وسيهاجمون ثوابت هذا الدين ولا أحد يعترض؛ لأن الذين قرّروا هذه الثوابت هم العلماء الذين سقطت قيمتهم في قلب الشاب المسلم والفتاة المسلمة منذ قليل.

إذن الغاية في الأخير هي العبث في دين الله بدون ضابط، وليس هناك أهل علم ترجع إليهم فكلهم مُجرّحون.

فإذا سقط أهل العلم في نظر الناس، هنا سيقوم التنويري بتفسير الدين وفق ما يرى.

وساعتها من البديهي أن يضع الدين على أيديهم، وتضيع العقيدة.

ودائمًا يدخل التنويري على المسلم بطريقة لطيفة فيقول له: أنا مشروعني تنقية التراث، وتنقيح الكتب السابقة، فهدفي أن نتشل المسلمين من الجهل، وأن نهض، وأنا أريد أن أقدم الإسلام للغرب دون أن يأخذوا علينا شيئًا، فأنا أريد أن أجدد الخطاب الديني.

وهذا كلام ظاهره جميل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ^ط وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤٦].

لكنه بعد قليل!

سيُنكر الأحاديث النبوية.

لأن هذه الأحاديث لا يقبلها عقل المواطن الغربي اليوم.

وبعدها: سيُكذَّب بثواب هذه الشريعة، بدعوى تقديم الإسلام للغرب.

ولا مانع أن يُسقط أمورًا مُتفقًا عليها حتى يُنقي الدين بزعمه، ويُنقِّح

كتب التراث.

إذن فالتنويري أثناء حديثك معه ودون أن تدري: يزرع لك قنابل

موقوتة في قلبك، وفي عقيدتك، وفي أصل تسليمك لشرع الله، وفي أصل

اعتزازك بثواب الدين.

فهو يزرع هذه القنابل بمتنهى الدهاء.

وبعد أيام أو شهور تعود إلى نفسك، فتجد الشبهات قد اجتاحت

حياتك، إن لم تكن أَلْحدت.

فالتنويري قام بتشكيكك في أصول وثواب شرعية لم تختلف عليها

الأمة عبر كل تاريخها.

واستطاع أن يهزَّ ثقتك في أهل العلم، وعليه قام بتكذيب ما صحَّ من

دين الله.

فتبدأ تفقد خشوعك في صلاتك، ثم تفقد لذة الطاعة، ثم قد تفقد الصلاة والإيمان وكل شيء!

يقول التنويري حسن حنفي معترفًا بكل هذا: "التنوير هو سُغل حرب عصابات، ازرع قنابل موقوتة في أماكن متعددة، وستفجر"^(١).

التنوير سُغل حرب عصابات!

ازرع الشبهات بحجة تنقيح التراث، وتنقية الخطاب الديني.

وأنكر الحديث النبوي الصحيح، وأنكر المعلوم من الدين بالضرورة، بحُجة الرغبة في نهضة هذه الأمة.

وبعد أن تتمَّ زراعة قنابل الشبهات في قلبك، وفي إيمانك، سيقول لك: أنا أكره الملحدين، وأخاف على الإسلام، وأحترم النبيَّ محمد.

فالتنويري يعبث بإيمانك وهو يرتدي عباءة المسلم؛ ولذلك هو أخطر بألف مرة من الملحد الصريح؛ لأنه يعمل من داخل المنظومة الإسلامية لتوليد الطرح الإلحادي.

فهو يغزل الإلحاد في مصنع الإسلام.

وهذا من أخطر ما يكون.

(١) جريدة أخبار الأدب بتاريخ: ٢٨-١٢-٢٠٠٣، نقلًا عن: أسلمة الإلحاد، ذ. عبد الله الشتوي، ص ٢٥.

هذا أخطر ما يهدد الشباب الذين لا يفهمون هذا المكر الذي يُحاك لهم، ويُحاك لدينهم ولعقيدتهم، ولأصل تسليمهم بشرع الله ﷻ.

فالتنويري يعمل على تأويل النص الشرعي من داخل المنظومة الإسلامية حتى يتوافق هذا التأويل مع أي هوى.

والتنويري لن يقول لك إنَّ الخمر حلال.

هو سيقوم بتأويل النص الشرعي حتى يجعل الخمر حلالاً.

وهذا هو الفرق بين التنويري والملحد:

فالملحد يقول: الخمر لا مشكلة فيها.

أما التنويري فيقول: سأقوم بتأويل النص الشرعي حتى أثبت لك أن الخمر حلالٌ.

فالتنويري يعمل من داخل المنظومة الإسلامية؛ لتوليد الطرح الإلحادي الكفري.

وبطبيعة الحال فالتنويري يكفر بأحاديث النبي ﷺ، ويُنكر ما أجمعت عليه الأمة عبر كل تاريخها، ويجعل كل ما اتفق عليه مختلفاً عليه.

ويُبرّر لإنكاره ثوابت الشريعة بأنَّ هذه الثوابت مسائل عفا عليها الزمن... فهو يجعل بديهيات شرعية أموراً فيها نظر بأي حجة، وبأي طريق.

إذن فهدف التنويري في الأخير تفريغ الدين من أصوله وثوابته، وجعل المسلمين: حُقَالَةً كَحُقَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ بلا وزن ولا قيمة.

حين أخبر القرآن الكريم في أول سورة البقرة عن الكافرين تحدّث عنهم في آيتين اثنتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ٧ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٧].

ثم تأتي بعد ذلك ثلاث عشرة آية في بيان أساليب المنافقين، وبيان حيلهم ومكرهم وخدعهم التي يدخلون بها على المسلمين.

فالمنافقون الذين يظهرون بمظهر الذي يريد الإصلاح، وتنقيح التراث، وتقديم الإسلام للغرب، ونهضة الأمة، هم في حقيقة الأمر يريدون إفساداً في الأرض... يريدون أن يضيعوا على الناس آخرتهم... يريدون محاربة دين الله وإضلال المسلمين وفتنتهم عن دينهم بكل السبل.

قال الله ﷻ واصفًا حال هؤلاء:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[٨ سورة البقرة].

لا علاقة لهم بالإيمان.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٩].

يخادعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم فقط.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠].

في قلوبهم شك، لكذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما يرون من دلائل هذا الدين، فزادهم الله شكًا، ولهم عذاب شديد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

وإذا نُهوا عن الإفساد قالوا: نحن مصلحون... نحن نريد تنقيح كتب التراث... نحن نريد تنوير هذه الأمة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٢].

هم أصحاب الإفساد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُنِ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣].

وإذا قيل لهم: آمِنوا كما آمن سلف هذه الأمة... آمِنوا بما أجمعت

عليه الأمة، قالوا: أنؤمنُ كإيمانِ خفافِ العقول؟

والحقُّ أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤].

وإذا التقوا بالمؤمنين قالوا: نحن مثلكم مؤمنون.

وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى حزبهم قالوا: إنا معكم.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥].

الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، فيملي لهم؛ ليتماذوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقون حائرين تائهين^(١).

ثلاث عشرة آية من أول سورة البقرة تكشف أساليب هؤلاء الذي يسرقون آخره الناس باسم التنوير.

فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من بني جلدتنا.

قال النبي ﷺ في الحديث الذي أصله في الصحيحين: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّتِينَا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا، فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا،

(١) التفسير الميسر.

وَلَوْ أَنْ تَعَصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُذْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ" (١).

فالزُّم جماعة المسلمين وإمامهم: الزُّم ما اتَّفقت عليه هذه الأمة...
الزُّم دين الله وشريعته... الزُّم المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة...
الزُّم الدعاة الصادقين إلى الله في زمنك.

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا، فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَصَّ
بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُذْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ: اعتزل الدنيا كلها المهم
ألا تُفْتَنَ عن دينك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾
[سورة النساء: ١١٥].

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ: يترك ما اتَّفقت عليه هذه الأمة، فيُنكر السُّنة،
ويُنكر الإجماع، ويتبع كل هوى، فهذا ممن يتبع غير سبيل المؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّبَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة
الأنعام: ١٥٩].

(١) صحيح الجامع، ح: ٢٩٩٤.

فَرَّقُوا دِينَهُمْ: جعلوا ما اتفقت عليه الأمة مُخْتَلَفًا فيه، فهو لاء لست منهم في شيء.

ذات يوم ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شيئاً، فقال: ذاكَ عندَ أوانِ ذهابِ العلمِ، قال راوي الحديث زياد بن لييد: يا رسولَ الله، وَكَيْفَ يَذْهَبُ العلمُ، ونحنُ نقرأُ القرآنَ، ونقرؤهُ أبناءنا، ويُقرؤهُ أبناءُنا أبناءُهم إلى يومِ القيامةِ؟ فقال ﷺ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زيادُ، إن كُنْتُ لأراكَ مِنْ أَفْقِهِ رجلٍ بالمدينةِ، أو ليسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا^(١).

يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا: فليست القضية بأن تقرأ القرآن أو يكون القرآن في بيتك وسيارتك وعلى مكتبك، المهم أن تفهم القرآن فهماً صحيحاً، وأن تعمل بما فيه، وألا تُخرجه عن معناه وسياقه.

فالنبي ﷺ أخبر باليوم الذي يذهب فيه العلم، حين يكون القرآن بين أيدينا ونتلوه، لكن لا نعمل بشيء مما فيه.

والله المستعان.

فلا نجاة إلا بالالتزام بما شرع ربُّنا، والتسليم للنص الشرعي.

وَأَنْ تُقَصِّرَ فِي أَلْفِ طَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُنْكَرَ حَرْفًا مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ح: ٣٢٨٨.

الأمة، وسار عليه سلف هذه الأمة.

ولياك أن ترى أن فلانًا يُدرك واقع الأمة اليوم؛ ولذلك فهو سيُضطر لإنكار ما أجمعت عليه الأمة؛ لأنَّ الوضع يختلف الآن، أنت بهذا وكأنك تقول: إنَّ الله لا يعلم الغيب، فهو سبحانه أنزل شرعَه في كتابه وسُنَّته نبيه، وأخبر أن شرعه يُصلح كل زمان ومكان، ويصلح لكل زمان ومكان، لكن أنت ترى أن الوضع يختلف الآن، ويجب تغيير ما أجمعت الأمة عليه بحجة تغيير الزمن، فهذا إلحاد في دين الله.

قال عمر بن عبد العزيز: "قِفْ حيث وقف القوم، وقُلْ كما قالوا، واسكُتْ عما سكتوا؛ فإنَّهم عن عِلْمٍ وقفوا، وببصيرٍ نافذٍ كفُّوا"^(١).

وإذا رأيتَ هوىً مُتَّبَعًا، وإعجابَ كُلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليكَ بخاصَّةِ نفسك، ودَعْ عنكَ أمرَ العوامِّ"^(٢).

أصلح نفسك، واتَّقِ ربَّكَ حتى تلقى الله وأنت كذلك، ولا تشغل نفسك

(١) سنن أبي داود، ح: ٤٦١٢.

(٢) قال رسول الله ﷺ: بَلِ اتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَاوا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ إِيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ.

سنن الترمذي، ح: ٣٠٥٨، درجة الحديث: حسن غريب.

بمن سقط في هذه الفتن، وأجر الصابر في وقت الفتن عظيم عند الله ﷻ.

أجره بأجر خمسين من الصحابة كما أخبر النبي ﷺ^(١).

فهذا الأجر العظيم: لعظمة تلك الفتن، وتزئ الدنيا على أشدها.

فاصبر نفسك، والتزم بشرع ربك، وحافظ على القرآن بتدبر.

والزم ما كان عليه سلف هذه الأمة.

فلو فعلت فقد نجوت، وأنعم بأجرك عند ربك.

نعود لسماة دعاة التنوير:

من سماة دعاة التنوير الذين يتبعون غير سبيل المؤمنين، أنهم دائماً يؤكدون أن أي إنسان على خلق حسن فهو من أهل الجنة - باعتبار أنهم يؤمنون بالجنة أصلاً - حتى ولو كان نصرانياً أو يهودياً ورَدَّ على الله وحيه، حتى ولو كان يعبد الأحجار، فطالما أنه مُهذب فهو من أهل الجنة.

فهم يرفعون مقام صاحب الخلق الكريم أيًا كان دينه، ويعطوه صكاً بالجنة.

وهذه فكرة خبيثة تُسمَّى الديانة الإنسانية Humanism وهي تعني تعظيم حق الإنسان على حق الله، فلو اعتديت على حق الله في عبادته فلا مشكلة، المهم ألا تعتدي على حق الإنسان.

(١) المصدر السابق.

وقد ظهرت الديانة الإنسانية؛ لأنه لا وجود لله في قلوبهم، فهم لا يعينهم اعتداؤك على الدين، وكفرك بربك، المهم لا تؤذي إنساناً.

فلو آذيت إنساناً فهذا غير مقبول، أما لو أضعت على إنسان آخرته، ونشرت الشبهات بين الناس، وحرّضتهم على الكفر بالله، فهذه حرية تعبير، ولا يحق لأحد أن يمنعك.

فتضييع الآخرة الأبديّة لا مشكلة فيها؛ لماذا؟ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ابتداءً.

فهذه هي عقيدة الديانة الإنسانية، والتي تعني الإيمان بالإنسان بدلاً عن الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر.

فالديانة الإنسانية هي جزء لا يتجزأ من حركة التنوير.

وأنا لا أدري كيف يؤمنون بحقوق الإنسان في عالم مادي، ينكرون فيه الخالق والغيب واليوم الآخر؟

كيف لهم الإيمان بالإنسان في عالم كهذا؟

كلمة إنسان كما قلت من قبل هي كلمة ميتافيزيقية أصلاً.

كلمة تستمد معناها من عالم آخر.

فلا يوجد إنسان في العالم المادي الإلحادي.

يوجد في الإلحاد حيوان متطور لا فرق بينه وبين الطفيليات المعوية،

كما يقول فرانسيس فوكوياما^(١).

أما "إنسان" فلا وجود له في عالم الإلحاد.

فحين يكفر الإنسان بخالقه فإنه يكفر في الوقت نفسه بإنسانيته:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

فمن يرغب عن الدين يسفه نفسه، ويصبح لا فرق بينه وبين الطفل

المعوي.

أيضًا من سمات دعاة التنوير أنهم: يهتمون دائمًا بشخصيات مارقة

ظهرت في التاريخ الإسلامي، ويقدمونهم باعتبارهم مفكرين حتى يوهنوا

قيمة السلف في قلب الشاب المعاصر.

أيضًا سمة أخرى عند هؤلاء، وهي: إثارة القوميات في كل بلد.

فهم يُشعلون الضغائن بين المسلمين الأمازيغ وإخوانهم من غير

الأمازيغ في المغرب.

ويشعلون الضغائن بين المسلمين الأكراد وإخوانهم في الشام وهكذا.

هم يجيدون اللعب على ملف العصبية والقوميات باحترافية.

أيضًا من سمات دعاة التنوير: التقرب جدًا من الملحدين ومن الخطاب

الإلحادي.

(١) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص ٢٥٩ الطبعة الأولى ١٩٩٣ مركز

الأهرام للترجمة والنشر.

فهم دائماً يمتدحون الملاحدة، ويعرضون في كثير من القضايا نفس تصوّراتهم؛ لأنهم ببساطة منهم.

ومن السمات البارزة عند دعاة التنوير إلى جانب ما سبق: التسامح مع أية فكرة، وأي مذهب، وأي تصوّر، وأي خرافة، ولو كانت عبادة حشرات، فلا مشكلة عندهم من التسامح مع أكلة لحوم البشر، بل هم يتسامحون مع النازية الجديدة، لكنهم في الوقت نفسه هم أشدّ الناس عداًء وكرهيةً وبُغضاً وإقصاءً لدعاة المسلمين وعلماء المسلمين وشيوخ المسلمين.

فهم يُغضون كل ما ينتمي للإسلام، حتى تشعر من خطابهم أنّ جهنم ليس فيها إلا علماء السلف، وأن الجنة أغلب من فيها ملاحدة.

إذن لا بد للمسلم أن يعرف سمات دعاة التنوير حتى يحذر منهم؛ لأنهم أصبحوا متشربين في القنوات والفضائيات ومواقع التواصل.

فسمائهم باختصار:

١- تأويل النص الشرعي بما يخرجُه عن معناه، وعن مراد الشرع تماماً.

٢- إنكار السُّنة النبوية، والهجوم على علم الحديث.

٣- الهجوم على علماء السلف والتنقُّص منهم.

٤- تبني الديانة الإنسانية، وتقديم حق البشر على حق الله.

٥- إثارة القوميات والنعرات.

٦- الاصطفاف مع الملحدين والحرب على المؤمنين.

التنوير الظلامي ظهر في أوروبا قبل قرنين تقريبًا بالمصطلحات نفسها، والأهداف نفسها، والأسلوب نفسه، وانتهى كما قُلْتُ بإلحاد أوروبا، وتَمَّت علمنة كل أوجه الحياة.

وكانت البداية هي تهاؤن الناس في التعامل مع دعاة التنوير، فقد استحيَ الناس من نقد حركة التنوير، وكشف مكرها بدعوى حرية التعبير وحرية الرأي.

فانتشر الإلحاد انتشار النار في الهشيم.

فهذا النوع أخطر من الإلحاد الصريح بألف ألف مرة لو تُرك دون مواجهة مباشرة مع أهم ما يقوم عليه من أفكار، فيجب تفنيد وتعرية وكشف قبح هذا المذهب.

يريد دعاة التنوير في بلادنا أن يعيدوا الكُرَّة نفسها التي حصلت في أوروبا.

ولذلك لا بد أن يعلم الناس حقيقة حركة التنوير، ويعلموا خطرها ليس فقط على دينهم، وإنما على دنياهم أيضًا.

فحركات التنوير في أوروبا نشأت في كنفها كل عصابات الإبادة الجماعية.

فالستالينية في الاتحاد السوفيتي كانت تنويرية Stalinist Enlightenment.

والماوية في الصين كانت تنويرية.

والنازية في ألمانيا كانت تنويرية.

Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda

The Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda (German: Reichsministerium für Volksaufklärung und Propaganda, RMVP or Propagandaministerium), Ministry of Propaganda, was a Nazi government agency to enforce Nazi ideology.

Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda

Reichsministerium für Volksaufklärung und Propaganda (German)



فمصطلح التنوير يقبل أية فكرة إبادية، وسيُسمى مشروع الإبادة الذي يقوم به مشروعًا تنويريًا!

وهتلر على سبيل المثال كان يُسمي إبادة الأعراق البشرية الأدنى بـ: "دش تطهير الألمان من الأوساخ العالقة بهم".

باعتبار أن الأعراق الأدنى أوساخٌ عالقة بالعرق الآري الألماني.

Nazi concentration camps

From 1933 to 1945, Nazi Germany operated more than a thousand concentration camps^{1a} on its own territory and in parts of German-occupied Europe.

The first camps were established in March 1933 immediately after Adolf Hitler became Chancellor of Germany. Following the Night of Long Knives in 1934, the concentration camps were run exclusively by the SS via the Concentration Camps Inspectorate and later the SS Main Economic and Administrative Office. Initially, most prisoners were members of the Communist Party of Germany, but as time went on different groups were arrested, including "habitual criminals", "asocials", and Jews. After the beginning of World War II, people from German-occupied Europe were imprisoned in the concentration camps. Following Allied military victories, the camps were gradually liberated in 1944 and 1945, although hundreds of thousands of prisoners died in the death marches.

More than 1,000 concentration camps (including subcamps) were established during the history of Nazi Germany and around 1.65 million people were registered prisoners in the camps at one point. Around a million died during their imprisonment. Many of the former camps have been turned into museums commemorating the victims of the Nazi regime.

فإبادة المعاقين والضعفاء والأعراق البشرية الأدنى - أدنى من وجهة نظر إلحادية - هذا شيء طبيعي في الفلسفة التنويرية.

لأن الفلسفة التنويرية في الأساس فلسفة إلحادية تؤمن بالتطور والمادية، وأنَّ الإنسان مجرد خبط عشواء في الطبيعة بلا قيمة، وبالتالي فلا عزاء للضعفاء ولا المرضى ولا المعاقين.

لقد أدَّى التنوير إلى وصول أوروبا إلى العيشية والعدمية، ووصل الناس إلى أعلى معدلات انتحار في تاريخ أوروبا، وتاريخ العالم، وفقد الناس معنى الحياة.

ويُراد لنا اليوم أن نسير وفق نفس هذه الأجندة التنويرية.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٢].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة

يوسف: ٢١].



٢- ما هو التنوير المطلوب؟

ج: هناك تنوير حقيقي في هذا العالم في مقابل مشروع التنوير الظلامي الذي يقوده دعاة التنوير، ألا وهو تنوير الوحي الإلهي.

فنور الشرع الذي رفع الله به قدر الإنسان، وقدر به أن الإنسان في مركز هذا العالم، وأنه خلق لحكمة، وأنه كريم على الله، هذا هو النور الحقيقي الذي أنار الله به العالم، وصلح به حال الإنسان.

وهذا هو التنوير الحقيقي الأوحد: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٧٤].

إنه نور الوحي: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [سورة الحديد: ٢٨].
﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

فلا نور حقيقي ولا تنوير إلا بنور الوحي الإلهي: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠].

فبدون الوحي الإلهي يعيش الإنسان في عمى كامل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: ١٩].

فنور الوحي هو طريق الهداية الأوحد، والنور الأوحد للإنسانية.

وحتى نصل لنور الوحي نحتاج إلى تجديد حقيقي للدين، لكنه قطعاً ليس التجديد الإلحادي التنويري، وإنما نحتاج للتجديد الذي حُصَّ عليه النبي ﷺ، والذي يكون بتنقية الدين وتصفيته عما اعتراه وشابه من الاجتهادات الخاطئة، وجهالات العوام، وإعادته للنقاء الأول.

وقد أخبر النبي ﷺ بهذا النوع من التجديد فقال: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"^(١).

فعلى رأس كل مائة سنة سيأتي مَنْ يُعيد نقاء الدين على النقاء الأول، وهو النقاء الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته.

وهذا هو التجديد الذي أخرج الله به من الهباء أمة عظيمة، واستبقى على القرون جيلاً من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ لولا هذا الوحي النقي.

ولن تصل الأمة لنهضتها وصلاح حالها إلا بعودتها لدين ربها، ونهج سلف هذه الأمة وعقيدتهم، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) السلسلة الصحيحة، ح: ٥٩٩.

قال الشاطبي في الاعتصام: "ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهْدَى ممن كان عليها أولها"^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَيُھْدَاهُمْ اَقْتَدِهٖ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].



(١) الاعتصام، الشاطبي، ١م ص ٢٥.

٣- مَنْ هُمْ مِنْكَرُو السُّنَّةِ؟

✽ ج: منكرو الأحاديث... منكرو المصدر الثاني للتشريع، هم فئة ازداد ظهورها مؤخرًا، وأغلبهم من تحت عباءة التنوير.

وقد خرجوا على الأمة الإسلامية بقولهم: نحن نكفر ببعض سنة رسول الله ﷺ، أو كلها.
هذا ملخص فكرة هذه الطائفة.

وهم مختلفون فيما بينهم: فبعضهم يكفر بكل الأحاديث، وكل الأخبار عن النبي ﷺ.

وثاني يكفر بأحاديث الآحاد، ويؤمن بالمتواتر.

وثالث يكفر بالسنة القولية للنبي ﷺ، ويؤمن بالسنة الفعلية.

لكن في الجملة أغلب السنة آحاد، وأغلب السنة قولية، ففي الأخير هم يكفرون بأغلب الشريعة... يكفرون بما لا حضر له من المعلوم من دين الله بالضرورة.

وبعض منكري السنة يُسمون أنفسهم بـ: "القرآنيون".

وهم أبعد الناس عن القرآن، فلو كانوا قرآنيين حقًا لما أنكروا ما

أوجب الله اتباعه في القرآن من سنة النبي ﷺ، واتباع سبيل المؤمنين، وضرورة التسليم لدين الله قرآنًا وسنةً.

فقد أجمعت الأمة على وجوب العمل بالسنة، وأجمعت على اعتبارها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

والسنة محفوظة كالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

قال ابن حزم رحمه الله: "ودعوى أن الذكر المحفوظ هو القرآن وحده، هذه دعوى كاذبة، وتخصيص بلا دليل، فالذكر هو: اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه من قرآن أو سنة" (١).

وقال رحمه الله: "ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، وقائل هذا كافراً مشركاً" (٢).

ومن الغريب أن منكري السنة هم من أجهل الناس بالشرعة، وحين ظهرت الفرق الضالة كالخوارج والجهمية وغيرهم كان فيهم من درس الشريعة جيداً، لكنهم كانوا يتأولون النصوص على غير وجهها فضلوا، أما منكرو السنة فلا يعرفون شيئاً في علوم الشريعة، فتراهم كلهم كلهم

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ١م ص ١١٨.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ٢م ص ٢٠٨.

كلهم بلا استثناءٍ واحدٍ ليسوا علماء حديث، وليسوا علماء شريعة.

فهم بعيدون كل البعد عن ذلك.

وتراهم دائماً يستخدمون كلمات براقة مثل: "البحث الأكاديمي"

و"احترام العقل" و"البحث الحر" و"نهضة الأمة" و"التخلص من الجهل" و"التنوير".

مصطلحات مُستهلكة لا يملكون منها شيئاً، ولا يرغبون بشيءٍ

مما فيها.

منتهى ما يفعله منكرو السنة أنهم ينشرون شبّهات سطحية مكررة عن

السنة، ينقلونها عن المستشرقين... ينقلونها عن أعداء الإسلام.

وإنكار السُّنة هو قنطرة الإلحاد الأولى بلا منازع.

وأغلب مَنْ انتهَى به الحال إلى الإلحاد والمروق من الإسلام كانت

بدايته أنّه أنكر بعض الأحاديث الصحيحة، وقَدَّم الهوى العقلي عليها...

قَدَّم النظرة الغربية على بعض الأحاديث الصحيحة... قَدَّم تصوّرات

تَوَهَّمها على السنة، فانتَهَى به الحال إلى الطعن في الحديث والسُّنة والتراث

وكتب الفقهاء، ثم قام بتأويل القرآن تأويلاً يخرجُه عن معناه؛ ليوافق هذه

الأهواء فكانت نهايته الإلحاد.

فهذا خط سير طبيعي ومتوقع.

والأغرب من هذا والذي يبين خطورة إنكار السنة أن هناك فئة من الملاحدة استغلّت هذه البوابة، بوابة إنكار السنة فدخلوا منها وفرّخوا لهم فيها أتباعاً.

فالملحد يظهر بصورة منكر السُّنة، لكنّه بعد ذلك سيستخدم هذا المدخل لنشر الإلحاد في الدين.

فإذا تم إنكار السنة لن تستطيع أن تواجه أيّ إلحادٍ في دين الله.

وهذا بالضبط المشروع التنويري، فالتنويري يتزعم إنكار السُّنة لكن هدفه الإلحاد في دين الله.

وحين يتم إنكار السنة يُصبح النص القرآني عُرضةً لأي تأويلٍ وفق أي هوى، فلا حديث نبوي يعصم عن الفهم الخاطيء للقرآن، ولا إجماع يعود إليه منكر السُّنة؛ ليفهم مراد النص الشرعي؛ لأنه لا يؤمن بالإجماع، ولا فهم لسلف هذه الأمة ينصلح به نظره في مراد الشرع.

فالتيجة الأخيرة هي: العبث في دين الله كما يريدون.

فغاية الملحد التنويري الذي يدعي أنه فقط منكر للسنة هي أن: يُضعف تسليمك للنص الشرعي، فيجعلك تشكّ في معاني القرآن، فتبدأ في تقبّل الإلحاد شيئاً فشيئاً.

وإنكار السنة في الواقع يعني التناول على قدسية النبي ﷺ حيث يتم

رد كل حديث نبوي، وبالتالي تضعف حُرمة هذا الدين إلى أن يتلاشى بالكلية من القلب مع الوقت.

فإذا ضاعت السُّنة، وأصبح كل ما يَرِدُ على ذهنك من معاني القرآن قد يكون المعنى بخلافه، فمن الطبيعي أن تضع قيمة النص، وبالتالي يفقد المسلمُ هيبة النص الشرعي، ومن ثم يفقد التسليمَ لظاهر النص، فماذا نتوقع بعد هذا إلا الانسلاخ الكامل من الدين والجري خلف غرور الإلحاد الذي يغازل الإنسان مع كل شهوة.

فما أن سَمَحَ نُفَاةُ السُّنة لأنفسهم بالتطاول على حديث للنبي ﷺ، أجمع المسلمون عبر القرون على قبوله والعمل به، إلا وقد وضعوا أولى خطوات التمرد على قداسة وعِظم قدر النبوة.

فهم يستحقون أن يزدادوا بُعدًا عن دين الله، وأن يزداد فتنةً.

ومشروع منكري السنة متداخلٌ بطبيعة الحال مع مشروع دعاة التنوير، حيث يبدأ منكرو السنة برمي علماء السلف بالجهل أو التزوير أو التبعية لمصالحهم الشخصية، ورمي الدعاة المسلمين بالجمود والدروشة، وهذه أولى خطوات زراعة الشك.

ويقومون بالتوازي بتضخيم صنم القيم الغربية، وتأول نصوص القرآن بحيث تتفق مع صنم هذه القيم.

فَمَنْ يفعل ذلك تحديدًا هم تنويريون بزي منكري السُّنة.

وما هي النتيجة لمن يتَّبِعهم؟

لن يبقى من شيء إلا غرور الإلحاد.

ففكرة منكري السنة من التنويريين تقوم على: جعل الدين في قفص الاتهام، وحتى يستطيع الدين أن ينجو من هذه التهم فعليه أن يضع التأويلات التي يتفق بها مع أي هوى سائد، وإلا ما خرج من قفص الاتهام. وأول طريق لرفع التهمة عن الدين هو إنكار النصوص.

فيتم إنكار الحديث وتأويل القرآن.

فيُصبح الدين عند منكري السنة مطالبًا باتباع أية ثقافة سائدة مهما كان انحلالها، وليس أن يقوم الدين بتعديل هذه الثقافة وتعبيد الناس لرب العالمين المليك المقتدر.

بل إن الدين ينزل من السماء، ويأتي النبي، وينزل الشرع، حتى يتوافق مع أية ثقافة.

إذا كان الأمر بهذه الصورة، فما فائدة الدين إذن؟

إذا كان الدين في الأخير مجرد تابع لأي ثقافة، فما قيمته، وما الغاية منه ابتداءً؟

تقديم دين الله في القلب على أية ثقافة مهما كانت... هذه أولى عرى الإيمان وليس وراءها مثقال حبة خردلٍ من إيمان.

وإذا رأى إنسان أنَّ أية ثقافة أفضل من الإسلام، وتشريع الإسلام، فهذه ردة لا يختلف فيها مسلمان.

ودين الله سيبقى شامخاً، والسنة المطهرة ستبقى شامخة محفوظة بحفظ الله إلى قيام الساعة محفوظة كالقرآن.

فالسنة هي الشارحة للقرآن، والمبينة للقرآن، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في العديد من الآيات: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٩].

فقد تكفل الله ببيان القرآن، ولا يمكن تطبيق القرآن تطبيقاً صحيحاً، ولا يمكن بيانه إلا بالسنة؛ لذلك ستبقى السنة محفوظة كالقرآن.

فلا يمكن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت إلا بالسنة.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ: بالسنة.

فبيان القرآن إنما يكون بالسنة.

والصحابة رضي الله عنهم هم أقرب الناس للقرآن والسنة، وهم الذين شهدوا تنزل القرآن والسنة، وصحبوا الرسول صلوات الله عليه وجاهدوا معه، وزكَّاهم القرآن الكريم.

والصحابة أيضاً هم أعلم الناس ببلغة القرآن، ومعاني القرآن؛ لذلك

كان فهمهم للقرآن والسنة مُقدَّم على غيرهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

فأصلح إيمان، وأنقى إيمان، وأعلم إيمان بعد الأنبياء هو إيمان الصحابة رضي الله عنهم.

وهو الإيمان الأقرب لمعاني القرآن، وتطبيق القرآن؛ لذلك كان منهج أهل الحديث هو الإيمان بالقرآن والسنة بفهم سلف هذه الأمة، وهو المنهج المعصوم... المنهج الذي أجمع أهل السنة والجماعة على الأخذ به.

قال رسول الله ﷺ: "تَفَرَّقُوا أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" ^(١).

فإيمان الصحابة وطريقهم هو طريق النجاة، يكفي قول رسول الله ﷺ: "خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" ^(٢).

فقرن الصحابة هو أفضل قرن إيماناً وعملاً وفهماً للدين.

وقال ﷺ: "أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي" ^(٣).

فالصحابة: صمام أمان لهذه الأمة، وبهم تنحسم البدع والضلالات.

(١) صحيح الترمذي، ح: ٢٦٤١.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٦٦٩٥.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٢٥٣١.



٤- ماهي منزلة السنة في الإسلام؟

ج: السنة سنة قولية، وسنة فعلية، وسنة تقريرية.

السنة القولية هي: الأحاديث التي قالها النبي ﷺ في مختلف الأغراض والمناسبات، مثل قوله: ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات"^(١).

والسنة الفعلية هي: الأعمال التي قام بها النبي ﷺ، مثل: أداء الصلاة، وأداء شعائر الحج، وقضائه، وغير ذلك.

والسنة التقريرية هي: أن يُقرَّ النبي ﷺ أمرًا حصل أمامه، أو في عصره وعلم به.

واتباع السنة هو عقيدة أهل السنة؛ ولذلك نحن نسمى: "أهل السنة والجماعة".

لأننا أتباع السنة.

في المقابل نفاة السنة هم ليسوا بالبداة من أهل السنة؛ لأنهم غير مؤمنين بالسنة ابتداءً، فكيف يكونون من أهل السنة.

وهم أيضًا خالفوا جماعة المسلمين بإنكارهم السنة.

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٤... صحيح مسلم، ح: ١٩٠٧.

فهم ليسوا من أهل السنة ولا الجماعة.

والسنة هي جوهر الإسلام كالقرآن.

ولا يُطبَّق القرآن إلا بالسنة.

فالسنة مبيّنة للقرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣].

فتأتي السنة لتبين لنا كيف نُقيم الصلاة، وما هي صفة الصلاة، وما عدد الركعات، وكيفية السجود، وأذكار الصلاة، وعدد الصلوات.

فالقرآن في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لا يُطبَّق إلا بالسنة، فلا تُقام الصلاة، ولا يُعرف ما معنى إقامة الصلاة إلا بالسنة، فالسنة مُبيّنة للقرآن.

ولم يقل النبي ﷺ صلُّوا كما في القرآن، وإنما قال: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي" ^(١).

إذن فالسنة تبين كيف نُقيم الصلاة، وبالتالي فهي وحي إلهي؛ لأنه لا يمكن إقامة الصلاة إلا بتطبيق الكيفية التي صلى بها النبي ﷺ.

والسنة أيضًا مُخصَّصة للقرآن:

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٦٣٨... صحيح مسلم، ح: ٦٧٤.

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [سورة المائدة: ٣].

لكن تأتي السنة لتبيح من الميتة: السمك.

فأكل السمك الميت حلالٌ بالسنة.

قال رسول الله ﷺ: "أَحَلَّتْ لَكُمْ مَيْتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ:

فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ" (١).

وقال ﷺ في البحر: "هُوَ الطَّهْرُ مَاوُهُ، الْحَلْ مَيْتُهُ" (٢).

فالسنة تُخصص العام.

العامُّ هو: تحريم الميتة.

لكن من هذا العام تمَّ تخصيص: السمك.

وهذا التخصيص بالسنة.

وهنا لنا أن نسأل نفاة السنة: هل تُحرِّمونَ أكلَ السمك؟

أيضاً السنة تُقيدُ المُطلق:

قال الله تعالى في حد السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

[سورة المائدة: ٣٨].

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ح: ٣٣١٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي، ح: ٦٩.

لكن كيف يكون القطع، وما هو نصاب السرقة الذي تُقطع به اليد؟
كل هذا تحدده السنة.

فالسنة تُقيد المطلق في القرآن.

أيضاً السنة لها تشريعٌ مستقلٌّ:

مثال على ذلك: تحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها.

فتحريم الجمع بين المرأة وخالتها والمرأة وعمتها إنما ورد في السنة ولم يرد في القرآن.

قال رسول الله ﷺ: "لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا"^(١).

لكل ما سبق، فالحاجة للسنة كالحاجة للقرآن، والاستغناء عن السنة كالاستغناء عن القرآن.

لذلك كان من بديهيات الإسلام: الأمر باتباع السنة؛ لأنها الإسلام!

وقد وردت في هذا آيات كثيرة منها:

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [سورة

الأحزاب: ٣٤].

(١) صحيح البخاري، ح: ٥١٠٩.

آيَاتِ اللَّهِ: هي القرآن.

وَالْحِكْمَةُ: هي السنة باتفاق المفسرين.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة النساء: ١١٣].

وَالْحِكْمَةُ: هي السنة النبوية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الإيمان بالسنة هذا أصل مُتَّفَقٌ عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا مَنْ ليس منهم" (١).

فهذا شيء بديهي.

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [٥٤ سورة النور].

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ: ضرورة اتباع رسول الله ﷺ (وإن تطيعوه تهتدوا).

فهل طاعته تكون بإنكار كل أمر ونهي صادر عنه؟

هل هذه طاعة له؟

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝﴾ [سورة النور: ٥١، ٥٢].

(١) الروح، ابن القيم، ص ١٠٥.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

فقد أمر الله ﷻ باتباع كل ما يصدر عن النبي ﷺ دون تفريق بين سنة قولية، وسنة فعلية، وكل هذه التقسيمات.

فكل ما صدر عن النبي ﷺ مُلْزَمٌ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

وهذا الالتزام بالسنة هو ما فهمته الأمة عبر تاريخها.

في البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتِشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَيْنَ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ^(١).

فكل أمر في السنة هو أمر في القرآن.

(١) صحيح البخاري، ح: ٤٨٨٦.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [سورة

الأنفال: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة

النساء: ٦٤].

ما أرسل الله الرسل إلا لتطاع.

وانظر للآية التي تليها مباشرة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥ سورة النساء].

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ: وبعد أن يُحَكِّمُوكَ (يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) لحُكْمك.

وهذه القضية التي حكم فيها النبي ﷺ في هذه الآية هي قضية الزبير بن العوف، والنبي ﷺ حكم فيها بحكم ليس في القرآن، ومع ذلك أخبر القرآن أن: الإنسان لا يُعَدُّ مؤمناً لو لم يخضع لقضاء النبي ﷺ، فقضاؤه وحي من الله واجب الاتباع.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

التسليم التام لأمره ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

إذا كنت ترجو الله واليوم الآخر؛ فاقْتَدِ برسول الله ﷺ.

ولا يكون الاقتداء إلا باتباع سنته.

قال ربنا ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

تريد أن يحبك الله؟ إذن اتَّبِعْ رسول الله ﷺ.

وقد أخبر الله ﷻ أن طاعة الرسول من طاعة الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠].

وانظر لهذه الآية: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

الردُّ إلى الله: بالنظر في كتابه.

والردُّ إلى الرسول ﷺ: بالنظر في سنته^(١).

إذن فسنة الرسول ﷺ هي وحي إلهي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ١٢ ص ١٩٦.

قال النبي ﷺ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ" ^(١).

فهو ﷺ أوتي الكتاب ومثله معه وهي السُّنة.

فيكون في وجوب العمل بالسنة: ولزوم قبولها كوجوب العمل بالكتاب: ولزوم قبوله كما قال القرطبي ^(٢).

وقال ﷺ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ" ^(٣).

وقال ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي" ^(٤).

وقال ﷺ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تَقْضِي؟ قَالَ: بَكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٥).

وقال ﷺ: "صَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" ^(٦).

وقال: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَاجَّتِي هَذِهِ" ^(٧).

(١) سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٤، درجة الحديث: صحيح.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣ ص ٤٣.

(٣) صحيح الترغيب، ح: ٤٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٧.

(٥) سنن أبي داود، ح: ٣٥٩٢، درجة الحديث: اختلف في تصحيحه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) صحيح مسلم، ح: ١٢٩٧.

فإذا أردت الحج، فلن تعرف كيف تحج إلا منه ﷺ.

وقال ﷺ: "فمن رغب عن سُنتي فليس مني" (١).

وهناك نصوص كثيرة في ضرورة اتباع سنته ﷺ.

وانظر لهذا الحديث المعجز في صحيح سنن أبي داود قال النبي ﷺ:

"أَلَا إِنِّي أَوْتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، لَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ" (٢).

رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ: كناية عن التَّرف، وكأنه ﷺ يُخبر أن بعض المترفين سيظهرون في آخر الزمان لينكروا السُّنة.

على أَرِيكَتِهِ: كناية عن أنه لم يغادر منزله لطلب العلم الشرعي، فهو ملازم لأَرِيكَتِهِ.

وهذا حال منكري السُّنة، سبحانه الله.

يقول: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ: يكتبون بالقرآن.

وقال ﷺ في حديث آخر مبيناً أَنَّ سُنته وحيي يوحى، وليست من عند

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٠٦٣... صحيح مسلم، ح: ١٤٠١.

(٢) صحيح سنن أبي داود، ح "٤٦٤".

نفسه: "ما أُعْطِيَكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، أَضْعُ حَيْثُ أَمَرْتُ" (١).

ولأن السنة بهذا القدر العظيم، فقد أوصى النبي ﷺ بتبليغ سنته للناس فقال: "نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ" (٢).

فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ: فيه دليل على أَنَّ السنة فيها فقه يُستنبط ويُطبَّق.

وفي كل هذه الأحاديث دليل على أَنَّ: أمر النبي ﷺ ونهيه مثل أمر القرآن ونهيه في الاحتجاج وضرورة الإيمان والعمل والتصديق.

أما الاختصار على القرآن فحسب، فكما قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هو رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة؛ أطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله" (٣).

في قول الشاطبي: "فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله"، دليل على أَنَّ مَنْ أنكر السنة سيتأول في المرحلة التالية القرآن على غير وجهه.

(١) صحيح البخاري، ح: ٣١١٧.

(٢) مسند أحمد، ح: ٤١٥٧، درجة الحديث: صحيح.

(٣) الموافقات، الشاطبي، م ٣ ص ٣٢٥، ٣٢٦ بتصرف.

فالسنة ضرورة وحصن للإسلام، وسدٌ مَنيعٌ ضد من يريد العبث
بالإسلام.

ولا ينكرها إلا مفتون: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [سورة المائدة: ٩٢].
واخذروا.



٥- هل السنة كلها مكتوبة؟

ج: نعم!

كل السنة مكتوبة وموثقة تمامًا.

ذكر الطبراني في الكبير: "إنَّا لم نسمع منه ﷺ شيئًا إلا وهو عندنا في كتاب" (١).

فكل شيء في سنته ﷺ مُدَوَّنٌ، حتى سكتات النبي ﷺ: سكتاته محفوظة مُدَوَّنةٌ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً (٢).

بل ونقل الصحابة أَنَّهُ ﷺ سَعَلَ سَعْلَةً فِي صَلَاتِهِ: "أَخَذَتِ النَّبِيَّ ﷺ سَعْلَةً فَرَكَعَ" (٣).

فقد نقلوا كُلَّ سُنَّتِهِ واجتهدوا أَشَدَّ اجْتِهَادٍ فِي حِفْظِهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ سُنَّتَهُ سَتُنْقَلُ عَنِ الْأَجْيَالِ فَقَالَ: "تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِنْ مَنْ

(١) الطبراني في الكبير، ح: ١٤٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٧٤٤.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٤٥٥.

سمع منكم" (١).

فالصحابة سيسمعون الحديث وينقلونه للتابعين، والتابعون سينقلونه لتابعي التابعين، وهذا ما حصل فقد نُقلت السُّنة من الصحابة للتابعين، ثم لتابعي التابعين.

وهنا يأتي السؤال: هل هذا يعني أن السُّنة نُقلت فقط نقل شفاؤه أم أيضًا كانت مكتوبة؟

والجواب: السُّنة نقلت نقل شفاؤه، وكانت مكتوبة، فكتب الحديث موجودة منذ عهد النبي ﷺ، وجرت الكتابة للحديث بين يديه ﷺ، وعندنا اثنان وخمسون صحابيًا من كُتّاب الحديث النبوي.

وفي كتاب عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر من ألف حديث، وهناك كتاب أنس بن مالك، وكتاب سعد بن عبادة... كتب كثيرة للصحابة في الحديث (٢).

فالسنة محفوظة في الصدور ومكتوبة.

وبعد وفاة النبي ﷺ بسنوات بدأت مرحلة جمع الأحاديث في كتاب واحد، وهذا ما يُعرف بالتدوين.

(١) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٥٩.

(٢) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

فالتدوين غير الكتابة:

أما الكتابة فهي كما قلنا منذ عهد النبي ﷺ وبين يديه.

بينما التدوين فهو: جمع كل الأحاديث في مكان واحد.

والتابعون وتابعو التابعين اجتهدوا في التدوين اجتهدًا عظيمًا عجيبًا، فجمعوا الأحاديث بالأسانيد المتعددة؛ ولذلك قد يأتي حديث من مائة طريق وأكثر.

فجمعوا كل أحاديث النبي ﷺ بطرقها، وصنّفوا كتبًا في أسماء الرواة وضبط الرواة، حتى يُضبط كل حديث بحرفه الذي خرج به من فم النبي ﷺ، وصنّفوا في علوم الرجال، وصنّفوا في الجرح والتعديل، وصنّفوا المسانيد والجوامع والمستدركات والمستخرجات والزوائد والأجزاء، وصنّفوا في شروح الحديث، وفي علوم الإسناد والمتن.

لذلك كانت درجة أي حديث صحيح أعلى من درجة توثيق كل كتب التاريخ في كل الحضارات مجتمعة، فشرط ضبط الحديث أعلى بألف مرة من وثوقية أي مصدر تاريخي تخيّل.

بل إنَّ درجة توثيق الحديث الضعيف أعلى من درجة توثيق كتب أهل الديانات السابقة.

فلو حصل انقطاع في سند الحديث في طبقة واحدة، أي: أن يفقد

سند الحديث لراوٍ واحدٍ، أو أن يكون الراوي مجهولاً لا نعرفه، ففي هذه الحالة يُحكم على الحديث بالضعف.

بينما نجد أن الكتب السابقة تصل درجة الانقطاع فيها لمئات السنين.

فنقلة السُّنة كانوا أغيرَ الناس على ضبط كل حرفٍ خرج من فمه ﷺ.

في الحديث المتفق على صحته، أخبر عبد الله بن عمر: "أنَّ رسول الله ﷺ قال: بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسَةٍ: على أن يُوحَدَ اللهُ، وإقامِ الصَّلَاةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وصِيامِ رَمَضانَ، والحَجِّ. فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجُّ، وصِيامِ رَمَضانَ؟ قَالَ: لا، صِيامِ رَمَضانَ، والحَجِّ. هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ" (١).

فهذا يعني حرص الصحابة على أدق التفاصيل في حديث رسول الله ﷺ.

وفي حديثٍ آخر: نهى النبي ﷺ عن الدُّبَاءِ والمُزَفَّتِ أن يُتَبَذَّ فيه، فقيل لسفيان: أن يُتَبَذَّ فيه؟ فقال: لا.. يُتَبَذَّ فيه (٢).

يحرصون على الحرف من فمه ﷺ.

لقد هَيَّاَ اللهُ برحمته لهذه الأُمَّة الأسباب التي حَفِظَتْ بها سُنَّةُ النبي ﷺ، فقد حمل سنة النبي ﷺ جيلٌ كانت فِطرتهم سليمة، وسَلِيقَتهم قويمه، وتَمَرَّسوا على قوة الحفظ عبر الزمن، فقد حَفِظُوا تاريخهم،

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٨... وصحيح مسلم، ح: ١٦.

(٢) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص ١٦٢.

وَنَقَلُوا أَشْعَارَهُمْ، فَكَانَتْ عِنْدَهُمْ مَلَكَةُ الْحِفْظِ عَجِيبَةً، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ غَيْرَةً عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا أَيُّ شَيْءٍ غَيْرِ صَحِيحٍ، لِهَذَا ضَبَطُوا نَقْلَ كُلِّ حَدِيثٍ خَرَجَ مِنْ فَمِهِ ﷺ، وَكُلِّ شَيْءٍ أَقَرَّهُ أَوْ فَعَلَهُ... ضَبَطُوا سُنَّتَهُ ﷺ أَعْجَبَ ضَبْطَ.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَخْطِئُ أَوْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ مِنَ التَّابِعِينَ أَوْ تَابِعِي التَّابِعِينَ كَانُوا يَفْضَحُونَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

فَهُمْ يَغَارُونَ عَلَى سُنَّتِهِ ﷺ أَشَدَّ غَيْرَةً.

وَمَا كَانُوا يَسْتَحُونَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ دِينٌ، فَالسُّنَّةُ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ الشَّرْعِيُّ.

لِذَلِكَ لَوْ كَذَّبَ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَغْرِبِ، لَأَصْبَحَ مَفْضُوحًا فِي الْمَشْرِقِ.

مَا كَانُوا يَسْتَحُونَ أَبَدًا.

مِثَالُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ: (١)

عِنْدَنَا حَدِيثٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ" (٢).

وَعِيَّاشُ كَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ ﷺ، لَكِنْ حَفِيدُ عِيَّاشَ وَالَّذِي

(١) هَذَا الْمِثَالُ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَثْمَانُ الْخَمِيسُ فِي أَحَدِ أَشْرَطَتِهِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.... صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ح: ١٣٦... وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، ح: ٦٧٥.

اسمه: أبان بن أبي عياش، كان يكذب في رواية الحديث مع أنه من كبار القراء، لكن لما يروي حديثاً عن النبي ﷺ لا يوثق في روايته.

فهل السلف تركوا أبان لمقام عياش جده أو سكتوا عنه لِسِنِّهِ. أو لكونه من كبار القراء؟

والله هذا مستحيل، بل إنَّ السلف فضحوه.

وكان شعبة بن الحجاج يمشي في الأسواق ويقول: أيُّها الناس! أبان بن أبي عياش كذاب.

يمشي بين الناس ويُحذِر منه حتَّى ذهب حماد بن زيد إلى شعبة فقال له: أمسِكْ عن الرجل.

فالرجل مُسِنٌّ، وعائلته كبيرة، وجده من كبار المهاجرين، وقد علم الناس بحاله، وأنه يكذب في الحديث، فلا داعي لأن يُفْضَح في كل مجلس.

بعد أيام، وكانوا في جِنَازَةٍ فرأى شعبة أبان، فصرخ بأعلى صوته: يا أبا إسماعيل - يقصد: حماد بن زيد - رجعت عن قولِي، أيُّها الناس! أبان كذاب.

ثم قال: مَا أَرَانِي يَسْعُنِي السُّكُوتُ عَنْهُ^(١).

فالأمر دينٌ.

(١) الكامل، ابن عدي، ١٢ ص ٣٨٢.

بل وقد نقل الإمام أحمد بن حنبل عن شُعبة بن الحجاج قوله: "لأن أزي أحبُّ إليَّ من أن أروي عن أبان بن أبي عياش".

هل يجزئ أحد في مجتمع كهذا أن يكذب على رسول الله ﷺ؟

إذا تبين أن أحدًا يتعمد الكذب فضحوه.

أما لو أخطأ في رواية دون تعمُد الكذب يصبح واهيًا في الحديث، ويُترك.

وقد كانت هناك اختبارات بصفة دورية لكل راوٍ، بحيث لو أخطأ الراوي في أحد هذه الاختبارات ولو كان أعبد أهل الأرض حكموا على رواياته بالضعف.

فلم يكن هناك تساهل مع سُنَّة النبي ﷺ.

وانظر في حال أشهر الزُّهَّاد في تاريخ الإسلام، الإمام الحسن البصري التابعي الشهير تلميذ الصحابة.

هل يجادل مسلم في علم وتقوى وعبادة الحسن البصري؟

كان الحسن البصري إمام الزهد، من أشهر العبَّاد، وكان مفتيًا للمسلمين، وقد تربَّى في كنف أم سلمة زوج النبي ﷺ، ودعا له عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: اللهم فقِّهه في الدين وحبِّبه إلى الناس.

تتلمذ الحسن البصري على يد ابن عباس وكثير من كبار الصحابة.

وعلى علو قدر الحسن البصري في العبادة والفقه، وعلى زُهده الشديد وورعه لو روى حديثاً عن صحابي فقال حدثني ابن عباس مثلاً أن رسول الله ﷺ قال كذا لصحّ حديثه، لكن لو روى الحديث مباشرة إلى النبي ﷺ ولم يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه الحديث، فحديثه مرسل لا يُعتدُّ به، ويُصنّف في قسم الحديث الضعيف.

تخيل! يُردُّ حديث الحسن البصري لو روى مباشرة عن رسول الله ﷺ. هذا حال السلف مع حديث رسول الله ﷺ، فعلى علو قدر الحسن البصري، لكن هناك عقيدة تُؤخذ من الحديث، إذن يلزم ضبط كل حرف بسنده إلى رسول الله ﷺ.

بل والأعجب من هذا:

انظر في حال الإمام حفص الذي يقرأ أهل الأرض القرآن بقراءته: حفص عن عاصم.

الإمام حفص الذي ضَبَطَ طريقة تدوير كل حرف في القرآن، ومخرج كل حرف في القرآن من فم النبي ﷺ.

الإمام حفص والذي هو مُتَهَيِّ علم القراءات هو في الحديث ضعيف! لك أن تتعجّب!

الإمام حفص إمام الدنيا في القرآن، لكنه لما انشغل بالقراءات،

وتعمَّق فيها، وصارت تملك كلَّ وقتِه، قلَّ ضبطه لألفاظ الحديث النبوي؛ لذلك فهو في الحديث ضعيفٌ.

ولو ورد اسم حفص في سند حديث حُكِمَ بضعف الحديث.

فالسلف كانوا لا يخجلون أمام ضبط الحديث النبوي، ولا هيبة لأحد أمام ضبط الحديث النبوي، ولا يستحون من تضعيف أحدٍ مهما علا قدرُه في الإسلام.

وفي وقت تدوين السُّنة ظهرت فتنة اسمها فتنة: "خلق القرآن" وهي فتنة مشهورة زمن الخليفة المأمون، حاول أن تتخيَّل لو امتلك الخليفة المأمون حديثًا واحدًا يدعم موقفه في القول بخلق القرآن! سينتهي الأمر.

كان مع المأمون السُّلطان والسجن والقتل - قُتل بعض العلماء في هذه الفتنة - لو استطاع المأمون أن يأتي بحديثٍ واحدٍ لانتَهى الموضوع.

لكن مَنْ كان يجرؤ على صناعة حديث للقول بخلق القرآن؟^(١)

لا يجرؤ حتى المأمون نفسه.

لم يستطيعوا أن يُقحموا حديثًا واحدًا ينسبوه للنبي ﷺ في هذا

(١) هذه الفائدة مستقاة من إحدى محاضرات الشيخ خالد الدريس حول حجية السنة والرد على شبهات القرآنيين.

الموضوع؛ لأنه بدراسة سند الحديث سيفتضح أيُّ وضَّاع، وسيُصبح مَنْ وضع هذا الحديث عارًا عبر التاريخ.

فَعِلِم الحديث له ضوابط حادَّة، وشروط قاسية، يفتضح من خلالها أيُّ شخص يحاول التلاعب بحرفٍ واحدٍ في أي حديث.

فَعِلِم الحديث هو علم حقيقي متكامل له ضوابط.

والضوابط الستَّة المشهورة للحديث النبوي هي:

١- اتصال السند.

٢- عدالة الراوي.

٣- ضبط الراوي.

٤- السلامة من الشذوذ.

٥- السلامة من العلة القادحة.

٦- وجود العاضد عند الاحتياج إليه^(١).

واتصال السند يعني: وجود سند متصل للحديث إلى رسول الله ﷺ، فلا يوجد فيه انقطاع.

فلو كانت هناك حلقة مفقودة في السند حُكم على الحديث بالضعف،

(١) منهج النقد في علوم الحديث، د. عتر، ص ٢٤٢.

ولو كان بقية الرواة في السند أعدل أهل الأرض.

أما عدالة الراوي فمعناها: أن يكون راوي الحديث معلوماً بدينه وخلقه وصدقته وأمانته.

أما ضبط الراوي فمعناه: أن يكون راوي الحديث حافظاً متقناً.

وكانت هناك اختبارات كما قلْتُ تجري بانتظام في حياة كل راوٍ، فيأتي شخص ممتحن بصورة طالب علم، فيُسَمَّع على الراوي أحاديثه فيدخل في الأحاديث حديثاً ليس من طريقه، وينظر هل سينتبه الراوي أم لا؟

كانت اختبارات منتظمة متكررة في جنبات العالم الإسلامي؛ لضبط الرواية عن رسول الله ﷺ.

فلا يُقبل الحديث إذا لم يكن له إسناده نظيف معروف كل راوٍ فيه.

فالله تعالى بلطف عنايته أقام لعلم الحديث رجالاً نُقَّاداً تفرَّغوا له، وأفنَّوا أعمارهم في تحصيله، وفي البحث عن رجاله، ومعرفة مراتبهم في القوة واللين^(١).

فقد اتقنوا ضبط الحديث بصورة عجيبة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: "يحرُمُ على الرجل أن يروي حديثاً في أمر الدين حتى يُتَقَنَّه ويَحْفَظَهُ كالأية من القرآن، وكاسم الرجل، والمستحب له

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ١٢ ص ٢٨٩.

أن يورد الأحاديث بألفاظها؛ لأن ذلك أسلم له^(١).

وكان سلف هذه الأمة آية في الحفظ.

فالإمام ابن شهاب الزُّهري راوٍ، وهو من أوّل مَنْ دَوّن الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، وهو شيخ الإمام مالك يقول عن نفسه: "ما استعدتُ حديثاً قطُّ، ولا شككتُ في حديثٍ إلّا حديثاً واحداً، فسألتُ صاحبي فإذا هو كما حفظتُ"^(٢).

أما قتادة فقد قال الإمام أحمد: "قُرئَ عليّ قتادة صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها"^(٣).

وصحيفة جابر بن عبد الله الصحابي الجليل صحيفة معروفة، فقد كان له كتاب في الحديث.

قال قتادة لسعيد بن أبي عروبة: أمسك عليّ المصحف، فقرأ البقرة فلم يخطئ حرفاً، فقال: يا أبا النضر! لأنا لصحيفة جابر أحفظُ مني لسورة البقرة^(٤).

أما الإمام جوهرة الحُفاظ البخاري، فكان كما يقول عن نفسه يحفظ

(١) الكفاية في علم الرواية، ص ١٦٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٢/ ٢٥٣) وسير أعلام النبلاء، (٥/ ٣٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٧٦)؛ تذكرة الحفاظ، (١/ ١٢٣).

(٤) التاريخ الكبير، للبخاري (٧/ ١٨٦).

مائة ألف حديث صحيح، ويحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح^(١).

وذاث يوم كان البخاري يَحْضُرُ درسًا في علم الحديث، وما زال صبيًا لم يبلغ أحد عشر عامًا، فقال الشيخ عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقال له البخاري: أبو الزبير لم يرو عن إبراهيم. فتعجب الشيخ ثم قال: إذن مَنْ هو؟ قال: ليس أبو الزبير عن إبراهيم، وإنما الزبير بن عدي عن إبراهيم. فراجع الشيخ درسه، فقال: صدقت^(٢).

كان هؤلاء الأئمة هبةً من ربِّ الأرض والسموات؛ لِحِفْظِ دينِهِ، وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ.

تخيل أنَّ الشافعي حفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين^(٣).

والكلام عن حفظهم لا ينتهي، ولم يكتفوا فقط بالموهبة، بل عانوا وجاهدوا حتى وصلوا لما وصلوا إليه.

كان الرجل منهم يُسافر في ضبط صحة الحديث الواحد شهرًا.

رحل جابر بن عبد الله ﷺ الصحابي الجليل مسيرة شهرٍ إلى عبد الله بن أنيس في طلب حديثٍ واحدٍ^(٤).

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤).

(٢) تاريخ بغداد، (٢/ ٧).

(٣) صفة الصفوة ١م ص ٤٣٤.

(٤) صحيح البخاري ١م ص ٢٦.

وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه رحل من المدينة إلى مصر؛ ليسأل عقبة بن عامر عن حديث سمعه من النبي ﷺ فلما حدثه، ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً إلى المدينة، وما حلَّ رحله.

وقال مكحول: طُفْتُ الأرض كلها في طلب العلم^(١).

وسافر يَقيُّ بنُ مَخْلَدٍ في طلب الحديث رحلتين: الأولى عشرين عاماً، والثانية أربعة عشر عاماً، وقد مشى على قدمه ولم يركب دابةً أربعاً وثلاثين سنة.

فقد خرج من الأندلس سيراً على الأقدام إلى بغداد، وتَنَقَّلَ بين بلاد المسلمين؛ لينقل الحديث، ويضبط الرواية.

لا تُعرف أمة جرَّحت وعدَّلت نفسها مثل أمة الإسلام، حيث جاءت وتكلَّمت عن نفسها، ونقدت نفسها، ونقَّحت نفسها.

فهذا راوٍ ثقةٌ، وهذا كذابٌ، وهذه رواية بلا وزن، وهذه رواية متواترة.

لا توجد أمة جرَّدت نفسها لكل حرفٍ من فم نبيها كما فعلت هذه الأمة.

فقد ضبطت النقل وأتقنته، فحفظت شريعة ربها قرآناً وسُنَّةً.

(١) سير أعلام النبلاء، ١م ص ١٥٨.

والإسناد عند هذه الأمة من الدين؛ لأن به حفظ الدين.

نقل الإمام مسلم عن عبد الله بن المبارك قوله: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"^(١).

فجزئ الله سلف هذه الأمة خيرًا وتجاوز عن خلفها. آمين



(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ١م ص ٨٧.

٦- هل تأخر تدوين السنة النبوية

ل ٢٠٠ سنة كاملة حتى جاء البخاري؟

هل تم تدوين السنة النبوية بعد مائتي عام من وفاة النبي محمد ﷺ؟

هل ظلت السنة شفاهية قرنين كاملين من الزمان وبعد ذلك تم

تدوينها؟

ج: أنخيل لو أن طارح مثل هذه الشبهة ذهب لمجلس الإمام

البخاري الذي كان يحضره عشرون ألفاً من عباقرة هذا العلم، ثم قال

للإمام: كيف لك أن تجمع الأحاديث بعد مائتي عام من وفاة النبي ﷺ؟

ربما لأصبح هذا الحدث أشهر خبر من أخبار الحمقى والمغفلين

على مر العصور.

إن المتقدمين ما تركوا شبهة إلا وبينوها للناس.

ولا أعرف أحداً من المتقدمين تعرّض لهذه الشبهة - شبهة تأخر

كتابة الحديث النبوي مائتي سنة - لأن هذه ليست شبهة، بل هي دليل

جهل شديد بالإسلام.

فالسنة كانت مكتوبة منذ عهد النبي ﷺ.

وكتاب الصدقات والذِّيات والفرائض والسنن لعمر بن حزم، هو كتاب أحاديث نبوية تَمَّت كتابته بين يدي النبي ﷺ^(١).

وكتاب عبد الله بن عمرو بن العاص هو أيضًا كتاب أحاديث نبوية مكتوب في عصر النبوة بين يدي النبي ﷺ، ومجموع أحاديث هذا الكتاب ألف حديث، وكان يُسمِّيه عبد الله بن عمرو بـ: "الصحيفة الصادقة"، وهذا الكتاب انتقل إلى حفيده عمرو بن شعيب، وروى الإمام أحمد في مسنده جزءًا كبيرًا منه؛ وروى كذلك البخاري ومسلم بعضًا منه، وتناقله أولاده وذريته من بعده، ونال الرعاية والحفظ والتداول والنقل عبر الزمن.

وكتاب أنس بن مالك الأنصاري ﷺ كتب في زمن النبي ﷺ.

وكتاب سعد بن عبادة ﷺ كتب في زمن النبي ﷺ.

وكتاب الإمام علي، وما كُتب عام فتح مكة بأمر من النبي ﷺ لأبي شاه اليمني^(٢).

كتب أحاديث كثيرة كُتبت بين يدي النبي ﷺ^(٣).

(١) كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ بِكِتَابٍ فِيهِ الْفَرَائِضُ، وَالسُّنَنُ، وَالذِّيَاتُ، وَبَعَثَ بِهِ عُمَرُ بْنُ حَزْمٍ.

التلخيص الحبير، م ٤ ص ٥٨.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٢٤٣٤.

(٣) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

فهناك كما قلت اثنان وخمسون صحابياً من كُتّاب الحديث النبوي
زمن النبي ﷺ.

ثم جاء التابعون ونقلوا عنهم ما كتبوا، ونقوا عنهم ما حفظوا.
فأبو هريرة رضي الله عنه وحده نقل عنه ثمانمائة تابعي، وبعضهم ينقل
الأحاديث شفاهاً والبعض الآخر كتابةً.

وقد كان في جيل التابعين تلاميذ الصحابة المئات من كُتّاب الحديث
النبوي، ومن أشهرهم همام بن مُنْبِه، صاحب الصحيفة التي وصلتنا
كاملةً، فكتاب همام بن مُنْبِه وصلنا كاملاً، وهذا الكتاب كتاب أحاديث
نبوية كُتِبَ في السنوات التالية مباشرةً لوفاة النبي ﷺ.

فهناك الكثير من كُتّاب الحديث من التابعين.
وكان يكتب عن جابر بن عبد الله الصحابي الجليل أربعة عشر تابعياً.
وكان يكتب عن ابن عباس تسعة من التابعين، وكانت كتب ابن عباس
وَقَرَّبَعِيرَ.

وبالمناسبة: همام بن مُنْبِه صاحب الصحيفة الشهيرة، هذه الصحيفة
ما زالت بين أيدينا حتى الساعة، ومنها نسخة في مكتبة دمشق، ونسخة
أخرى في مكتبة برلين.

ونُقلت الصحيفة كاملة في مسند الإمام أحمد.

وصحيفة تعني: كتاب.

كان عدد كُتُب السنَّة في عهد التابعين ٢٥٢ تابعياً^(١).

فكتابة الحديث بدأت منذ عصر الرسالة، وكتب الصحابة الأحاديث النبوية، وكتب التابعون الأحاديث النبوية.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وكان لكل واحدٍ منهما كتابٌ حديثٍ فأصبحت عندنا: صحيفة سعيد بن جبير، وصحيفة مجاهد بن جبر.

ونشط أيضاً أبو الزبير محمد بن مسلم المكي أحد أشهر وأضبط تلاميذ جابر بن عبد الله، فكتب عنه صحيفة عُرِفَتْ باسمه، وعندنا صحيفة أيوب السَّخْتِيَّاني، وصحيفة عروة بن الزبير، وصحيفة خالد بن معدان، وصحيفة أبي قلابة، وصحيفة الحسن البصري، كل هؤلاء تلاميذ الصحابة كتبوا الأحاديث النبوية.

فالكتابة للحديث النبوي متصلة وموجودة منذ عهد النبي ﷺ.

لكن يا تُرى: مَنْ أول مَنْ فكَّر في جمع كل الأحاديث النبوية في كتابٍ واحدٍ؟

والجواب: فكرة جمع كل الأحاديث النبوية في كتابٍ واحدٍ والتي

(١) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

تُسَمَّى بالتدوين، كانت في ذهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد فكَّر في جمع الأحاديث كما تمَّ جمع القرآن، واستشار كبار الصحابة في ذلك فوافقوه على ذلك، لكنه تراجع حتى يتمكَّن القرآن في قلوب الناس، ولا يختلط بالسُّنة؛ لأن عهد الناس بالقرآن حديث جدًّا، فأغلب المسلمين على وجه الأرض في ذاك الوقت لم يسلموا إلا قريًّا.

فقرَّر عمر أن يتأثَّى بالناس حتى يتمكَّن القرآن من قلوبهم.

والسُّنة محفوظة ومنقولة ومكتوبة فلا خوف عليها، لكن لو جُمعت في كتابٍ واحدٍ، ووُزعت على الأمصار بالتوازي مع القرآن لزامت القرآن، ولم يُؤمن أن تلتبس به.

فأجل عمر رضي الله عنه فكرة تدوين السُّنة في كتابٍ واحدٍ.

وظلَّ الأمر على ذلك إلى أن أتى زمن تلميذ عمر بن الخطاب: كثير بن مُرَّة، وقد أدرك كثير بن مُرَّة سبعين بذرًّا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وهو أيضًا تلميذُ معاذ بن جبل، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعوف بن مالك، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وعدد كبير من كبار الصحابة فقد تتلمذ على أيديهم جميعًا.

ففي زمن كثير بن مُرَّة بدأ مشروع تدوين السُّنة، فقام هو بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وآله.

ومشروع كثير بن مرة كان مشروعًا عملاقًا، وجاء بأمر من التابعي الجليل: عبد العزيز بن مروان، والذي كان حاكمًا على مصر طيلة ٢٠ سنة.

وبعد عبد العزيز بن مروان جاء ابنه: عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، والذي أمر أبا بكر بن حزم، وابن شهاب الزهري بإكمال مشروع كثير بن مرة.

إذن فتدوين الحديث كان في مرحلة مبكرة جدًا.

أما كتابة الحديث فكانت منذ عهد النبي ﷺ كما فصلنا، والنبي ﷺ أمر بكتابتها بين يديه، وقال: اكتبوا لأبي شاة^(١).

ولما توقف عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة السنة، قال له النبي ﷺ: اكتب؛ فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق^(٢).

وكان أبو هريرة يخصص ثلث الليل؛ ليحفظ أحاديث رسول الله ﷺ.

فالسنة كانت تكتب وتُحفظ بين يديه ﷺ.

وفي الحديث الصحيح عندما سئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أيّ المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتابًا، فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٤٦.

نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تَفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينَةً أَوْ رُومِيَّةً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَدِينَةُ هِرَقْلَ تَفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي: قُسْطَنْطِينَةً.

وانظر لقول عبد الله بن عمرو بن العاص: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ، فَقَضِيَةُ أَنَّ الصَّحَابَةَ (رضي الله عنهم) كانوا يكتبون الأحاديث بين يدي النبي ﷺ قضية بديهية.

لكن هنا قد يقول قائل: ما أجمل لو دُوِّنَتِ السُّنَّةُ بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة!

والجواب: بعض الناس ربما يتخيل لو دُوِّنَتِ السُّنَّةُ من أول يوم في كتابٍ واحدٍ لَانْقَطَعَتِ ألسنة المغرضين من نفاة السنة.

وهذا كلام غير صحيح؛ لأن الكتابة ليست من لوازم الحجية، ولا يتوقف عندها صيانة الحجة،

بل إن الكتابة لا تفيد القطع عند العرب كما يفيد الحفظ!

ونحن ما عرفنا الشعر الجاهلي إلا بالحفظ.

ولم يثبت أن النبي ﷺ أمر بكتابة كيفية الصلاة أو أوقاتها، ولو كانت الكتابة من لوازم الحجية لأمر بكتابة كيفية الصلاة بكل حركة وكلمة وذكرٍ.

أيضاً حجية القرآن ليست في أنه كُتِبَ.

فالناس حتى الساعة يتلقون القرآن بالسمع.

فالقرآن كتاب صوتي، وليس كتاباً ورقياً، فكل حرف في القرآن نُقلت طريقة نطقه نقل شفاءٍ من فم النبي ﷺ، وأنت تأخذ القرآن من فم شيخك، ولا تستطيع أن تحصل على إجازة في القرآن دون النقل الشفاهي لكل حرف فيه، وشيخك حصل على الإجازة من فم شيخه، وهكذا وصولاً إلى النبي ﷺ.

ولا تتم طباعة المصحف حتى الساعة في أية دولة إسلامية إلا بعد أن يقوم بمراجعته أهل الأسانيد، ممن تلقوه نقل الشفاء من فم النبي ﷺ.

إذن حجية القرآن في نقل الشفاء، وليست في أنه دُون.

ولذلك عندنا مقولة: لا يؤخذ القرآن من مصحفٍ.

فالقرآن يؤخذ ممن يتلقاه مشافهةً في سلاسل من زمن النبي ﷺ إلى عصرنا هذا.

فالاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب، لا على حفظ المصاحف^(١).

فالقرآن في الأصل كتاب صوتي، وكذلك الحديث رواية صوتية.

الحديث منقول بالسمع عن النبي ﷺ في كل طبقة.

(١) النشر في القراءات العشر ١ ص ٦.

وكما أنَّ القرآن مُدَوَّن ومَحْفُوظ في الصدور، كذلك السُّنة مُدَوَّنة ومَحْفُوظة في الصدور.

وحجية حفظ الصدور هي الأساس في نقل القرآن والحديث، وليس مجرد التدوين.

ولذلك لما دُوِّن القرآن زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه، لم يكن عندنا سوى ست نسخ من القرآن في كل الأمة الإسلامية.

نسخة المصحف الإمام عند عثمان، ونسخة لليمن، ونسخة للشام، ونسخة للعراق، ونسخة لمصر، ونسخة لمكة.

والناس يتناقلون القرآن سماعًا، وظل نقل القرآن السماعي عبر القرون وحتى يومنا هذا، وسيبقى هكذا إلى أن تقوم الساعة.

الأمر نفسه بالنسبة للحديث، فقد كُتِب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه في الأساس نُقِل بالسند الصحيح المتصل نقل صدور ونقل شفاه.

إذن فحجية القرآن لم تأت من تدوينه، وإنما حجية القرآن من حفظه في الصدور، ونقله على مرِّ العصور، كذلك السُّنة.

لكن لماذا لا تُثبِت الكتابة حجية النقل؟

والجواب: إذا تعارض حديثٌ مسموعٌ مع مكتوب، أخذ أهل العلم بالمسموع.

قال الآمدي: رواية السماع أولى لبُعدها عن تطرُّق التصحيف والغلط^(١).

فالنقل المتقن الضابط العدل أقوى وأعلى حجية من الكتابة؛ لأن النقل الصوتي أبعد عن التصحيف والغلط.

فالحافظ أتقن لما يقول، وأعرف لمعنى ما يقول، وأضبط لمقصود ما يقول، خاصة من قوم عُرِفوا بقوة الحفظ، ونَقَلُوا تاريخهم بقوة الحفظ، فاعتمادهم على ذاكرتهم هو أساس الحجية.

ومشكلة الكتابة أنها لا تنضبط بها الذاكرة؛ لأن الذي يكتب ينسى، فيأتي احتمال تطرُّق الخطأ، ثم إنَّ عدم ضبط المكتوب قد يُغيّر المعنى بالكلية بتصحيف واحد في حرف واحد من الحديث، بينما الذي يقرأ من حفظه يُوَلِّدُ عندك اطمئناناً عجيباً.

تخيل عندما يُستفتى مُفتٍ في مسألة شرعية، فيجيب بالأدلة من السنة من حفظه، أليس هذا أوثق عندك، وأكثر طمأنينة لفؤادك ممن ينقل لك الفتيا من الكتب؟

فالحفظ يزيد اطمئنانك لمعرفة الحافظ بدلالة الحديث ومعناه وفقهه.

(١) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، ص ٩٩٤.

والحفظ سجيّة العرب فلم يكن بالشيء المرهق لهم، فهم يحفظون مُعلّقاتهم، وكان منهم مَنْ يحفظ ألف بيت شعر، كذلك القرآن بقي في عهد النبوة محفوظاً في الصدور.

واعتمدوا في نقل المعرفة على حفظ الصدور، وكان النبي ﷺ يُرسل مَنْ يُعلّم الناس دينهم، ويحكم بينهم، ويقضي بينهم، لا بكتاب وإنما بحفظ الصدور وفقه القلوب.

وساعد العرب على قوة الحفظ بساطة المعيشة، والجو الهادئ، وقلة الشواغل، وحدة الذكاء، وسعة الخبرة باللسان العربي.

وكانوا مطبوعين على الحفظ، فابن عباس حفظ قصيدة عمرو بن أبي ربيعة من ٧٥ بيتاً من أول مرة سمعها، وكان كذلك الزهري والشَّعبي، حتى يقول الزهري: ما دخل أذني شيء نسيته.

فالحفظ أيسر على العرب، وهو أسلم بكثير وأضبط، والحفظ لا يكون إلا بالفهم وإدراك المعنى والتحقُّق منه.

لذلك ولّد حفظ سنة النبي ﷺ في الصدور "ملكة الفقه العجيبة" التي ظهرت في سلف هذه الأمة، وفي كل مَنْ يعتني بالحفظ في كل زمن.

فهذا الميراث الفقهي المدهش الذي تم استنباطه من القرآن والسنة مصدره حفظ الصدور، وإتقان المعنى.

فالحفظ وُلد الفقه.

فتجد أحدهم يسترسل في ضبط الأحكام الشرعية، وكأن مكتبة ضخمة مفتوحة أمامه ينهل منها ما يريد في أي لحظة.

وتجد ابن القيم يكتب زاد المعاد كاملاً في أحد أسفاره دون العودة لكتب.

ويُملي السرخسي على تلاميذه وهو محبوس في بئر كتاب "المبسوط" وهو موسوعة ضخمة من خمسة عشر مجلداً.

وشرح القرطبي "صحيح مسلم" وهو على ظهر سفينة، وشرحه وقع في خمسة عشر مجلداً إملاءً من خاطره من غير مطالعة، ولا مراجعة، ولا تعليق.

فالحفظ وُلد هذه الملكة العجيبة عند هذه الأمة.

أما من يعتمد فقط على الكتابة فقد لا يفقه.

لذلك لم يكن العرب يثقون بالكتابة إلا بشروط كثيرة، فلا بد أن يحمل المکتوب سنداً وختمًا حتى يوثق بأن كاتبه هو فلان.

وقد يقع في الكتابة التصحيف.

فلن تقدّم لنا الكتابة شيئاً إضافياً للأمة لو تمّ تدوين السنة - جمع كل

الأحاديث في مكان واحد - من أول يوم، بل قد يُفوت هذا الأمر فرصة توليد هذه الملكات الفقهية العجيبة التي ولّدها الحفظ.

ولربما حصلت مع الكتابة إشكالات وقوع الظن في معنى ما كُتب، وإشكالات التصحيف، فربما تتغير نقطة واحدة على حرف واحد؛ فتؤدي لتغيير معنى الحديث بالكلية.

ومن اعتمد على الكتابة تضعف ملكة الحفظ عنده، وبالتالي ينسى المعنى المقصود، وينسى ضبط ما كتب.

فمن رحمة الله بهذه الأمة أن قدر لها أن تحفظ سنة نبيها حفظ صدور، كما حفظت القرآن حفظ صدور فتولّد هذا الفقه العظيم لدين الله عند السلف.

وهذا من عجيب حكمة الله وفضله على هذه الأمة.

وسبحان الله حتى الفلاسفة عبر التاريخ كانوا يستشعرون بعبء الكتابة، وكانوا يؤكّدون أنّ الذي يعتمد على الكتابة دون الحفظ يضعف ذهنه مع الوقت، من أجل ذلك كان أفلاطون يهجو الكتابة بشدة، ويؤكد أن الكتابة تؤدي لضياع المعنى، وفتور النفس^(١).

وسوف تبقى السنة محفوظة بحفظ الله للقرآن، محفوظة إلى قيام

(١) إشكالية العقل العربي، جورج طرايشي، ص ٣٠.

الساعة، فهي بيان القرآن، والمصدر الثاني للتشريع باتفاق كل مسلم.
ولا يُخالف في كونها المصدر الثاني للتشريع، وبيان القرآن إلا مَنْ لا
حفظَ له في دين الإسلام، كما قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ^(١).



(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، الشوكاني، ص ٦٩.

٧- لماذا يهاجم دعاة حركة التنوير الصحابة؟

ج: لأنهم ببساطة لا يجروون على القدح في الإسلام.

فَمَنْ هي الحلقة التي لو هاجمها التنويري لما انتقده الناس، وفي الوقت نفسه سيسهل عليه بعدها الهجوم على الإسلام؟
إنها حلقة الصحابة.

وبعد أن يُسقط التنويري قيمة الصحابة من قلبك، سيسهلُ عليه بعدها تأويل أي نص شرعي وفقًا لأي هوى.

وهذا يُبطل التنويريون أحكامَ الدين القطعية، وينكروا ما عُلِمَ من الدين بالضرورة بكل بساطة، ولو بيّنت لهم أنَّ فهمهم مخالفٌ لما أجمعت عليه الأمة، ومناقضٌ لظاهر وصريح النص الشرعي والمعني اللغوي، فلن يهتموا بما تقول؛ لأنهم منذ قليل أسقطوا قدوة هذه الأمة، أسقطوا الصحابة، أسقطوا أكثر الناس معرفةً بمعاني التنزيل، فلن يوقفهم شيء عن تأويل أي نص شرعيٍّ وفقًا لأي هوى، فالهجوم على الصحابة هو طريق سهل وذكي للهجوم على الإسلام.

قال أبو زُرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب

رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق؛ لأن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدنى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب الرسول ﷺ، وإنما يريد القوم أن يُجرّحوا شهودنا؛ ليطلوا الكتاب والسنة" (١).

فهم يعرفون جيدًا أنَّ الحائط في مواجهة التلاعب في دين الله هم الصحابة؛ لأن فهمهم أقرب وأصلح فهم لمعاني التنزيل.

فالصحابة أقرب الناس للرسالة، وشهدوا تنزل القرآن والسنة، وهم أعرف الناس بالعربية، وأدري الناس بمراد الشرع.

ولذلك قال النبي ﷺ: "أصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يؤعدون" (٢).

فالصحابة أمان لهذه الأمة، وأمان للفهم الصحيح للكتاب والسنة.

ودعاة حركة التنوير يعرفون قدر الصحابة؛ لذلك هم يريدون أن يُسقطوا أمانة هذه الأمة، يريدون أن يُسقطوا هذا الحائط؛ ليسهل عليهم بعد ذلك الهجوم على القرآن والسنة كما يحبون.

لما سئل أبو عبد الرحمن النسائي صاحب "السنن الكبرى" عن معاوية، قال: "الإسلام دار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذنى

(١) الإصابة، ابن حجر، ج ١ ص ٢٢. الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص ٤٩.

(٢) صحيح مسلم، ح: ٢٥٣١.

الصحابة إنما أراد الإسلام" (١).

فمن فقه النسائي عِلِم أن الهجوم على معاوية يُراد به شيء آخر.

فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام.

والسلف كانوا يعرفون أنَّ مدخل من أراد الهجوم على الإسلام هو:

الصحابة.

لذلك قال البرهاري: "واعلم أن من تناول أحدًا من أصحاب محمد

ﷺ إنما أراد محمدًا ﷺ" (٢).

فشأن الصحابة شأنٌ عظيمٌ، وسيلهم هو سبيل المؤمنين، قال الله

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ: من اتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة فمن

بعدهم، ضلَّ سعيه.

وقال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهُ عَلَى

الْجَمَاعَةِ" (٣).

(١) تهذيب الكمال، الحافظ المزي، ١/ ٣٣٩.

(٢) شرح السنة، ص ١١٤.

(٣) صحيح الجامع، ح: ١٨٤٨.

فإجماع الصحابة معصوم، وسبيلهم هو النجاة، فهؤلاء عاصروا النبوة، وأخذوا عن النبي ﷺ بلا واسطة، وعاینوا النبي ﷺ في جميع أحواله، في حله وترحاله، فكان النبي ﷺ معلمهم.

ولذلك كانوا أصلح الناس قلوبًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَلَهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" ^(١).

أَعَمَّقَهَا عِلْمًا: أكثر هذه الأمة فهمًا وإدراكًا، فهم كتبوا الوحي بأيديهم وقت تنزله، وحضروا أسباب نزوله.

قال الشاطبي: هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها.

وقد زكّاهم الله في كتابه فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقد احتجّ العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع الصحابة، واستحقاقهم

(١) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ١١٩.

أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم.

لأن الآية تقول: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ. فالآية تتضمن المدح لكل من اتبع الصحابة.

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

روى ابن جرير بسنده عن الضحاك، قال: هُم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٨٨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٨٩ [سورة التوبة: ٨٨، ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقال ﷺ: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٨﴾ [سورة الحشر: ٩٨، ٩٩].

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ: المدينة المنورة.

وَالْإِيمَانُ، أي: تشربوا الإيمان في قلوبهم.

كل هذه تزكيات في كتاب الله لمجتمع الصحابة.

وانظر لهذا الخطاب الإلهي: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ
اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

مَنْ آمَنَ مِنَ النَّاسِ بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ الصَّحَابَةُ فَقَدْ اهْتَدَى.

ولذلك حذَّر النبي ﷺ أشدَّ التحذير من التعرُّض لمجتمع الصحابة،
فهم أطهر وأسمى وأتقى وأصلح وأسلم مجتمع في الدنيا بعد الأنبياء...
مجتمع صحابة النبي محمد ﷺ.

لذلك قال ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا
نَصِيفَهُ" (١).

(١) صحيح مسلم، ح: ٢٥٤٠.

وقال ﷺ: "أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ" ^(١).

فذهاب الصحابة وذهاب هذي الصحابة هو إيدان بمجيء الفتن.

فعصر الصحابة هو أعظم عصور هذه الأمة؛ لذلك قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي" ^(٢).

فقرن الصحابة هو أفضل قرن في تاريخ هذه الأمة في كل فضيلة وكل علم وعمل وقصد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وَكُلُّ مَنْ لَه لِسَانٌ صَدَقَ مِنْ مشهورٍ بعلمٍ أو دينٍ معترفٌ بأنَّ خيرَ هذه الأمة هم الصحابة" ^(٣).

وقال الإمام أحمد: "أَصُولُ السُّنَّةِ عِنْدُنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ" ^(٤).

ومذهب الإمام مالك يقوم على ترجيح عمل أهل المدينة؛ لأنهم أقربُ الناس لتطبيق القرآن والسُّنة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه.... صحيح البخاري، ح: ٦٤٥٩... وصحيح مسلم، ح: ٢٥٣٣.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١٦٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/ ١٥٨.

فهذا قدر الصحابة الذي لا بد أن يُنزله إياه كل مسلم.

قال النبي ﷺ: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" (١).

فما اجتهد فيه الخلفاء الراشدون من الصحابة كان حُجَّةً بشهادة رسول الله ﷺ.

ويكفيك قولُ النبي ﷺ: "تَفَرَّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" (٢).

فالفرقة الناجية هي ما كان عليه عقيدة الصحابة، وفهم الصحابة، وفقه الصحابة.

فالواجب علينا أن نُحب صحابة رسول الله ﷺ؛ لثناء الله عليهم، ولإيمانهم به، ولتصديقهم بنبيه، ونصرتهم له، ولما نفَعنا الله به من جهادهم في سبيل نصرته هذا الدين ووصله إلينا.

فنحن نحبه، ونتبع هديهم، وندافع عنهم، ولا نقبل بموجة الهجوم عليهم، ونُعَرِّف الناس حَقَّهم.

(١) سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٧، درجة الحديث: صحيح.

(٢) صحيح سنن الترمذي، ح: ٢٦٤١.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ؛ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ" (١).

وقال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مَنَازِلِهِ الشَّهِيرَةِ لِلخَوَارِجِ: "أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَصَهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ" (٢).

فَالصَّحَابَةُ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِفَقْهِ هَذَا الدِّينِ.

فَاتَّبَعَ الصَّحَابَةُ يَقْطَعُ مَادَّةَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْمَنْهَجَ الْأَوَّلَ قَبْلَ ظُهُورِ الْفِتَنِ.

وَلَوْ نَحْنَا فَقْهُ الصَّحَابَةِ، وَمَنْهَجُ الصَّحَابَةِ، وَفَهْمُ الصَّحَابَةِ، لِتَأْوِيلِ النَّاسِ الْقُرْآنَ بِإِخْرَاجِهِ عَنْ مَعْنَاهُ، وَعَنْ مَرَادِ الشَّرْعِ.

وَلِذَلِكَ كَانَ الْهَجُومُ عَلَى الصَّحَابَةِ هُوَ مَشْرُوعُ التَّنْوِيرِيِّينَ لِإِفْسَادِ دِينِ النَّاسِ.

(١) مسند الإمام أحمد، ح: ٣٦٣، درجة الحديث: حسن.

(٢) الصحيح المسند، ح: ٧١١.

ومن أجل هذا عدَّ العلماء الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ علامة أهل البدع والنفاق، الذين يريدون إبطال الشريعة بجرح رواتها.

عن عبد الله ابن الإمام أحمد قال: "سألت أبي عن الرجل شتم أصحاب النبي ﷺ. فقال: ما أراه على الإسلام"^(١).

وقال الإمام مالك: "من انتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فليس له في هذا الفيء حق، قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ: وهذا هو الفيء الأول.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ: هذا هو الفيء الثاني.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ: وهذا هو الفيء الثالث"^(٢).

والفيء الثالث هم أتباع منهج الصحابة.

ولا يوجد فيء رابع.

فمن لم يتبع منهج الصحابة فليس له في هذا الفيء حق.

والصحابة كلهم عدول.

(١) السنة، الخلال ١/ ٤٩٣.

(٢) الإصابة، ابن حجر ج ١ ص ٢٣.

قال الإمام النووي: الصحابة كلهم عدول، مَنْ لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يُعتد به^(١).

ولا يوجد أحد يطعن في عدالتهم إلا ويضعف إيمانه وتصديقه بالنصوص بقدر ما يطعن في الصحابة.

قال ابن الصلاح: "إن الأئمة مُجمعة على تعديل جميع الصحابة. ومن لابس الفتن منهم: فكَذلك؛ بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك؛ لكونهم نقلة الشريعة"^(٢).

وقد قال رسول الله ﷺ: "والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأني، وصاحب من صاحبني"^(٣).

اللهم ارزقنا حبّهم ونُصرتهم آمين.



(١) التقريب والتيسير، ص ٩٢.

(٢) علوم الحديث، ص ١٧١.

(٣) الصحيح المسند، ح: ١٢١٣.



٨- ما معنى حديث الآحاد، وما الفرق بينه وبين الحديث المتواتر؟

ج: حديث الآحاد هو كلُّ حديث عن النبي ﷺ رواه عددٌ من الرواة في كل طبقة لا يصل إلى حد التواتر.

فلو أنَّ حديثاً عن النبي ﷺ رواه صحابيٌّ واحدٌ إلى عشرة من التابعين، ثم انتشر بين الناس، فهذا يُسمَّى حديث آحاد.

والحديث الذي رواه صحابيان إلى مائة تابعي، ثم انتشر بين الناس، يُسمَّى أيضًا: حديث آحاد.

والحديث الذي يرويه ثلاثة من الصحابة إلى مئات التابعين، يُسمَّى حديث آحاد.

فمثلاً حديث: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" ^(١).

هذا حديث رواه ثلاثة من الصحابة عن النبي ﷺ إلى عدد كبير من التابعين.

ومع ذلك اسمه: حديث آحاد.

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ١٠... وصحيح مسلم، ح: ٤٠.

والحديث الذي رواه أربعة من الصحابة إلى مئات التابعين، اسمه: حديث آحاد.

أما الحديث المتواتر فهو: كل حديث رواه جمعٌ كبيرٌ من الصحابة إلى جمع كبير من التابعين.

بحيث يكون هناك جمع كبير من الرواة في كل طبقة من السند، وهذا الذي يُسمَّى بالمتواتر.

والتمييز بين الحديث الآحاد والحديث المتواتر هو تفریق اصطلاحي حديثي فقط.

فالسلف لا يفرقون بين متواتر وآحاد.

فطالما صحَّ الحديث، وثبت عن النبي ﷺ وجب العمل به؛ سواء رواه صحابي واحد أو صحابيان أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة، طالما صحَّ الحديث وجب العمل به في العقائد والأحكام والتشريعات.

فهذا التقسيم: آحاد ومتواتر، هو تقسيم اصطلاحي لطلاب علم الحديث.

فالكل يتفق ولا يشذُّ عالمٌ واحدٌ من علماء الحديث على أنَّ: الحديث آحاداً كان أو متواتراً طالما صحَّ عن النبي ﷺ وجب العمل به.

فالعبرة في الأخير بصدق الخبر وصحته، وليس بعدد من أخبرك الخبر.

فقد يصحُّ حديث من راوٍ صادقٍ ثَبَّت، ولا يصحُّ من أكثر من راوٍ مجهولٍ.

فطالما اتصل السند، وثبَّت عدالة الراوي وضبطه، وسَلِم الحديث من الشذوذ والعلَّة صار صحيحًا، ووجب العمل به؛ سواءً جاء من طريقٍ أو مائةٍ.

والآحاد حجة عقلية في قبول الحُكم؛ إذ لو أتاكَ شخصٌ واحدٌ ثقةٌ صدوق، ونقل لك خبراً رآه بعينه فهذا يُؤلِّدُ عندك العلم الضروري، بينما لو أتاكَ أكثر من شخصٍ مجهولٍ لا تعرفهم وأخبروك خبراً فقد لا يطمئن قلبُك لما قالوا.

فالعبرة ليست بالعدد، وإنما بالخبر الصادق.

والشريعة تقوم على حجية خبر الآحاد، وأنه يُلزم بالعلم والعمل معاً. قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]. من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ: والطائفة تشمل ما دون المتواتر، وبها يقع العلم والحُجة.

وكان رسولُ الله ﷺ يُرْسِلُ رُسُلَهُ آحادًا، وَيُرْسِلُ كُتُبَهُ مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبله؛ لأنَّه خبر واحد.

والأنبياء أتوا أفراداً إلى أقوامهم.

وقال النبي ﷺ: "نَصَرَ اللَّهُ امراً سَمِعَ مَنْ حَدِيثاً فَحَفَظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ
قَرَباً حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"^(١).

وهذا الحديث دليلٌ على حجية خبر الواحد، فالواحد الثقة الضابط
للحديث حجة.

فالحديث يحمله الواحد، ويُبلِّغه الواحد، وتقوم الحجة بالواحد.

وحديث: "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا"^(٢).

وكان هذا يوم الأحزاب، فهنا اعتمد النبي ﷺ خبر الزبير، وهو خبر
الواحد.

وحديث: "بَيْنَمَا نَحْنُ بِمَنْىَ إِذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى جَمَلٍ وَهُوَ
يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ أَيَّامٌ طُعِمَ وَشُرِبَ، فَلَا يَصُومَنَّ
أَحَدٌ، فَأَسْمَعَ النَّاسَ"^(٣).

وهنا اتبع الناس أمرَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا فيه حجية خبر
الواحد، وقيام العلم والعمل بخبره.

(١) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٦٠.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٤١١٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، ح: ٨٢٤، درجة الحديث: صحيح.

وأنت تُصدِّق المؤذن، وتعمل بخبره في أهم شعيرة في دينك: الصلاة.
وهذا خبر آحاد.

والأدلة في هذا لا تُحصى.

والنبي ﷺ كما قلْتُ كان يرسل الواحد من صحابته في تنفيذ أمره، أو إمارة الناس، نيابةً عنه أو قبض الزكاة، أو غير ذلك.

فالأمة مجمعة على قبول خبر الواحد والعمل بخبره.

وانظر لحديث: "بينما الناس في صلاة الصُّبح بقباء، إذ جاءهم آتٍ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أنزلَ عليه اللَّيلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى القبلة" ^(١).

فالصحابة عملوا بخبر الواحد واستداروا وهم في صلاتهم.

فتمتلى جاء الثقة بالخبر: حصل العلم، ووجب العمل.

وحديث أنس: "كُنْتُ أُسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ، وَأَبَا طَلْحَةَ، وَأَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فُضِيخٍ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، (يشربون الخمر) فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرِقْتُهَا" ^(٢).

جاءهم آتٍ: شخص واحد ثقة حصل به العلم، وأهرقوا الخمر.

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٤٤٩٤... وصحيح مسلم، ح: ٥٢٦.

(٢) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٥٨٢... وصحيح مسلم، ١٩٨٠.

قال الشافعي: خبر الواحد عن رسول الله ﷺ يُنتهى إليه، ويُفتى به، وَيَقْبَلُهُ كُلُّ أَحَدٍ^(١).

وعلى العمل بخبر الواحد التابعون كافة، ولم ينكر أحد ذلك، ولا اعترض عليه^(٢).

قال شيخ الإسلام: "ما يرويه الواحد العدل يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، والسلف لم يكن بينهم في ذلك نزاع"^(٣).

فلم يظهر التكلم في حجية خبر الواحد إلا بين المبتدعة^(٤).

وأهل السنة والجماعة لا يُفرِّقون بين الحديث المتواتر وبين خبر الآحاد، ويحتجُّون بالمتواتر والآحاد في العقائد والأحكام على حدٍّ سواء.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: "فإنَّ جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ"^(٥).

وقال السَّمْعَانِي رَحِمَهُ اللهُ: "إنَّ الخبر إذا صحَّ عن رسول الله ﷺ ورواه

(١) الرسالة للشافعي، ص ٤٥١.

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص ٣١.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة، ابن الموصلي، م ٢، ص ٣٧٢، بتصرف.

(٤) فضل الاعتزال، ص ١٨٥.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ١٨٨.

الثِّقَاتُ والأئِمَّةُ، وأَسَنَدَهُ خَلَفَهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَلَقَّتهُ الأُمَّةُ بالقبول؛ فإنه يوجب العِلْمَ، وأما من قال لا بد من طريق التواتر، فقائل ذلك يريد ردَّ الأخبار^(١).

فلم يظهر إنكار حجية خبر الآحاد كما قلت إلا بين المبتدعة وهدفهم من هذا ردُّ السنة.

وهنا قد يسأل سائل: لماذا يريد المبتدعة أن يهجروا السنة؟

والجواب: لأنه إذا هُجرت السنة وجد المبتدعة ميدانًا للكلام في نصوص الشرع وتأويلها وفق أهوائهم.

فالتسليم بكل خبر صحَّ عن النبي ﷺ هذا قاطعٌ لمادة البدعة، وحاسمٌ لكل من يريد العبث في دين الله.

فالسنة تقمع البدعة.

ولا يعرف أهل البدع أنَّ التنكُّر لأخبار الآحاد هو بدعة إضافية، فالتشكيك في حجية خبر الآحاد هو قول مُبتدعٌ مُحدث، لا أصل له في الشريعة.

وفي الحديث المتفق على صحته: مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ^(٢).

(١) الانتصار لأصحاب الحديث، ص ٣٤-٣٥.

(٢) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٢٦٧٩... وصحيح مسلم، ح: ١٧٨.

فإنكار حجية خبر الآحاد بدعة، و"كل بدعة ضلالة"، وكل ضلالة في النار" (١).

فهذه بدعة إضافية عند المبتدعة.

لكن قد يقول قائل: خبر الآحاد يفيد الظن؛ لذلك ما نأخذ به في العقيدة.

والجواب: الظن الذي لا يُعتد به عقلياً هو الظن المرجوح، أو الظن الذي لا يُفيد علماً.

وليست أحاديث الآحاد من ذلك في شيء.

فهذا الظن المرجوح أو الذي لا يفيد علماً، لا يؤخذ به لا في الأحكام ولا في العقائد، أما خبر الواحد الصحيح الثابت فهذا قرين اليقين، فأحاديث الآحاد ليست من الظن المرجوح، وإنما من الظن الذي هو قرين اليقين؛ ولذلك ورد في القرآن التعبير عن اليقين بالظن من هذا النوع الذي هو قرين اليقين في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ١١٨].

إذن فالقول بالأخذ بخبر الآحاد في باب الأحكام وتركه في باب

(١) صحيح مسلم، ج: ٨٦٧ باختلاف يسير.

العقائد، هو قول بدعيٍّ سقيمٍّ، ثم من أين لهم بهذا التقسيم؟

أين الدليل الذي يُعْتَدُّ به على ترك العمل بحديث الأحاد في العقيدة؟

هل ثَبَتَ ذلك بآية قرآنية أو حديث نبوي صحيح؟!

وهل ثَبَتَ عن الصحابة رضي الله عنهم العمل بذلك أو التصريح به؟!

وهل ثَبَتَ عن أحدٍ من الصحابة ردُّ ما أخبره به أحدُهم من أحاديث

نبوية، تتضمن أمورًا عقائدية؟

وهل فعل ذلك أحد من أئمة التابعين ومن بعدهم؟

ما من أحدٍ من الصحابة أو التابعين، أو أئمة الهدى ردَّ خبر الواحد

الذي يتضمن أمورًا عقائدية؛ كانوا يتقبلون الخبر بالقبول واليقين، طالما

ثَبَتَ صحته.

وهذا ورد في نصوص كثيرة كأحاديث الرؤية - رؤية الله يوم القيامة -

وتكليم الله، ونزوله في ثلث الليل الأخير كل ليلة.

والنبي ﷺ قال: "بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"^(١).

فمن الذي يُبلغ الآية؟

شخصٌ واحدٌ هو مَنْ يقوم بالتبليغ، وتقوم به الحجة على المُبَلِّغ،

(١) صحيح البخاري، ح: ٣٤٦١.

ويحصل للمُبَلِّغ بذلك العلم، وادّعاء أَنَّ العلم والحجة لا تقوم بإخبار المبلِّغ الواحد، فهذا يعني أن أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ليس له معنى.

فلو لم تقم الحجة بخبر الواحد لما أمر ﷺ بذلك.

وقد أرسل ﷺ عليًا، ومعاذًا، وأبا موسى ﷺ في أوقات مختلفة إلى اليمن؛ يُبلِّغون عنه؛ ويُعلِّمون الناس الدين والعقيدة والأحكام.

وهذا دليل قاطع على أَنَّ العقيدة تثبت بخبر الواحد، وتقوم به الحجة على الناس، وإلا ما اكتفى ﷺ بشخص بمفرده، ولأرسل معه من يتواتر به النقل.

ولذلك السلف أجمعوا على قبول أحاديث الآحاد في العقائد، وإثبات صفات الرب تعالى، والأمور الغيبية بخبر الواحد.

ثم ما الفرق بين تسليمك لخبر الآحاد في الأحكام، ورفضه في باب العقائد؟

الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا هذا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بحديث الآحاد؛ كما لا يمتنع إثبات الأحكام الشرعية بها، فما الفرق بين باب الشرع وباب الخبر، بحيث يُحتجُّ بها في أحدهما دون الآخر، وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتجُّ بهذه الأحاديث في الخبرات، كما

تَحْتَجُّ بها في أبواب الفقه، ولم يزل الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسُّنة يحتجُّون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء، والأحكام، ولم يُنقل عن أحد منهم ألبتة أنه جَوَّز الاحتجاج بخبر الآحاد في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين؟^(١).

وترك العمل بأحاديث الآحاد في العقائد هو تخطئة للسلف في اعتقادها، واتخاذها ديناً، وتخطئة لإجماع الأمة، ومخالفة لسبيل المؤمنين، ويكفي بذلك فتنة في الدين.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

فالأدلة لا تُحصى من الكتاب والسُّنة، وإجماع الصحابة وسلف الأمة، تدلُّ دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة، سواء أكان في الأمور الاعتقادية أو الأمور العملية، وأما التفريق بينهما فبدعة أحدثها أهل الأهواء من المبتدعة؛ ليردوا الأدلة التي تنقض بدعهم، ولم يُنقل عن أحد من سلف هذه الأمة أنه جَوَّز الاحتجاج بحديث الآحاد في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته،

(١) الصواعق المرسلة، ابن القيم، ج ٢ / ٤١٢.

بل لا يُعرف خلاف في هذه المسألة عن أحد ممن يُعتدُّ به من أهل العلم.

قال الإمام ابن عبد البر في كتابه التمهيد: "وكلُّهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، على ذلك جميع أهل السُّنة"^(١).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّامِنُ: وَهُوَ انْعِقَادُ الْإِجْمَاعِ الْمَعْلُومِ الْمُتَيَقِّنِ عَلَى قَبُولِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى بِهَا، فَهَذَا لَا يَشْكُ فِيهِ مَنْ لَهُ أَقْلٌ خَبِرَةٌ بِالْمَنْقُولِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ هُمْ الَّذِينَ رَوَوْا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَتَلَقَّاهَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يُنْكِرْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ رَوَاهَا، ثُمَّ تَلَقَّاهَا عَنْهُمْ جَمِيعُ التَّابِعِينَ مِنْ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَمَنْ سَمِعَهَا مِنْهُمْ تَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ لَهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا مِنْهُمْ تَلَقَّاهَا عَنِ التَّابِعِينَ كَذَلِكَ وَكَذَلِكَ تَابِعُ التَّابِعِينَ مَعَ التَّابِعِينَ"^(٢).

وفي الواقع: فالقول بأن حديث الأحاد لا تثبُّت به عقيدة، هو قول في حد ذاته عقيدة، فما هو الدليل على صحته؟

فإما أن يأتوا بالدليل القاطع المتواتر على صحة هذا القول، وإلا فهم

(١) التمهيد، ٨/١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلّة.

مُتناقضون.

وبناءً على ذلك: فإنَّ ردَّ خبر الأحاد في العقائد منهجٌ بدعيٌّ يخالف إجماع أهل السنة والجماعة، وهو: "خرق لإجماع الصحابة المعلوم بالضرورة وإجماع التابعين، وإجماع أئمة الإسلام"^(١).



(١) مختصر الصواعق المرسلة، ٢/٣٦٠.

٩- ما هي الإشكالات

العقلية التي تواجه منكري السنة؟

ج: هناك عدّة إشكالات تواجه منكري السنة، وهي إشكالات تُبيّن سخافة هذا الفكر ومخالفته لبديهيات القرآن، ولقطعيّات عقلية تُفهم من دين الإسلام.

الإشكال الأول:

كيف كان النبي ﷺ وصحابته يُصلُّون إلى بيت المقدس لسنوات طويلة؟

فقد كانت قبلة المسلمين لسنوات طويلة نحو بيت المقدس، وهذا الأمر لم يَرُدْ في القرآن.

لم يرد في أي آية الأمرُ بالصلاة نحو بيت المقدس.

فلم تكن الصلاة نحو بيت المقدس إلا أمرًا نبويًّا.

ولم يخبر القرآن في هذا الخصوص إلا بقصة تحوّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

إذن السؤال لكل مُنكر للسنة... لكل متجاهل للخبر النبوي... لكل

مُشَكِّكَ فِي قِيَمَةِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ التَّشْرِيعِيَّةِ: عَلَى أَيِّْ أَسَاسٍ كَانَ الصَّحَابَةُ يُصَلُّونَ لِبَيْتِ الْمَقْدَسِ؟

وَلَا يَوْجَدُ جَوَابٌ إِلَّا: عَلَى أَسَاسِ الْأَمْرِ النَّبَوِيِّ، وَهُوَ الْجَوَابُ الْوَحِيدُ الصَّحِيحُ.

فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ صَلَّوْا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْسَ بِأَمْرِ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ.

فَالْقُرْآنُ تَحَدَّثَ فَقَطْ عَنْ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [سورة البقرة: ١٤٢].

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ: السُّفَهَاءُ سَيَتَعَجَّبُونَ لِمَاذَا تَحَوَّلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِمَاذَا تَحَوَّلُوا عَنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ.

وَانْظُرْ لِلآيَةِ التَّالِيَةِ مُبَاشَرَةً وَتَدَبَّرْهَا جَيِّدًا:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا: قِبْلَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ: فَالْقِبْلَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ وَاجِبَةً لِاتِّبَاعِهِ.

وهذه القبلة كانت تمييزاً لمن يتبع الرسول... يتبع السنة، عمن ينقلب على عقبيه.

إذن كل منكر للسنة، ومنكر لكون الحديث النبوي تشريعاً مستقلاً، هو منقلب على عقبيه بصريح هذه الآية.

(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ).

يقول تعالى: إنما شرعنا لك - يا محمد - التوجه أولاً إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حينما توجهت ممن ينقلب على عقبيه، أي: مُرْتَدًّا عن دينه^(١).

أيّ تحذير إلهي أكثر من هذا لمن يرفض السنة، ولا يعتبرها وحياً إلهياً؟

وتُختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

فلن يضيع الله إيمان من كان يصلي نحو بيت المقدس، ولم يقل الآية: وما كان الله ليضيع صلاتكم، وإنما قالت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

(١) تفسير ابن كثير للآية.

فاتباع النبي ﷺ بالصلاة نحو بيت المقدس هو إيمانٌ.

الإشكال الثاني:

من آيات القرآن التي تقطع بضلال مذهب مُنكري السُّنة، قول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٥].

لم يأذن الله ﷻ في آية واحدة من القرآن بقطع لينة - نخلة - أو تركها.

فالذي أذن بقطع النخيل في غزوة بني النضير هو النبي ﷺ، وحين شقَّ على اليهود قطعُ النخيل، أخبر الله ﷻ أنه ما قُطعت من نخلة أو تركت فبإذن الله... بأمر الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

إذن البديهة القطعية المستفادة من هذه الآية أن: الأمر النبوي بقطع النخيل في هذه الغزوة هو أمر إلهي: ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾. فالأمر النبوي هو وحي إلهي.

الإشكال الثالث:

حكَمَ النبي ﷺ في كثير من القضايا بالحديث النبوي، وألزم الناس بالحديث النبوي، ووجبت طاعته بالحديث النبوي، وعقوبة المخالفة كانت لمن خالف الحديث النبوي.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

والذي قضى به النبي ﷺ في هذه الآية لم يكن تنفيذًا لحكم شرعي موجود في القرآن، وإنما الحكم كان من السنة النبوية في قضية سقيا الزبير للماء.

وأخبر القرآن أن الإنسان لا يعد مؤمنًا لو لم يخضع لقضاء النبي ﷺ، وقضاؤه كان بالسنة وليس بالقرآن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

فلا بد من التسليم التام للحديث النبوي والرضا بأمر النبي ﷺ وإلا ما حصلوا الإيمان.

فإنكار السنة فكرة شاذة ليس لها علاقة بالقرآن، ولا بدين الإسلام.

الإشكال الرابع:

القرآن الكريم يطلق الأمر بالتأسي بالنبي ﷺ، ولم يستثن أو يقتد أو يخص هذا التأسي، بل هو مطلق التأسي، ومطلق الطاعة، ومطلق الاتباع، ومطلق التحذير من مخالفته ﷺ.

فلو كانت طاعة الله هي الطاعة الواجبة فقط، لقيّد التأسي، وقيد الأمر باتباع النبي ﷺ بما يوافق فقط القرآن.

وبما أن القرآن هو الرسالة الوحيدة التي بين أيدي منكري السنة، إذن لا بد أن يوضح القرآن بصورة قاطعة لا تحتمل الشك تقييد طاعة النبي ﷺ بحيث لا يطاع إلا فيما يأتي به القرآن الكريم... لا يطاع إلا فيما وافق القرآن.

لكن المدهش أن عكس ذلك تمامًا في القرآن الكريم.

ففي القرآن مطلق الأمر بالطاعة للنبي ﷺ، ومطلق الأمر بالتأسي به وبلا تقييد.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴿ [سورة الأحزاب: ٢١].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾
ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿ [سورة آل عمران: ٣١].

﴿مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ﴾
حَفِظًا﴿ [سورة النساء: ٨٠].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٦٤].

والآيات في هذا كثيرة.

الإشكال الخامس:

من المعلوم يقيناً أن الله ﷻ لم ينصّ على كل جزئية من جزئيات الشريعة في القرآن.

ولنما القرآن مُبين للأصول والقواعد العامة.

فأركان الصلاة، وواجباتها، وسننها، وعدد الركعات، وعدد الصلوات نفسها، ومواقيت الصلوات الخمس، وطريقة الصلاة، كل هذا لا وجود له في القرآن الكريم!

ثم أين في القرآن صيغة الأذان؟

وأين في القرآن أنصبة الزكاة؟

وأين في القرآن تفصيل مناسك الحج؟

هناك آلاف الأحكام في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق لا وجود لها تفصيلي في كتاب الله.

فالسنة ضرورة لتفصيل الأحكام ببديهة القرآن.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ١٠٤]

فالنبي ﷺ يبين الذكر... بماذا؟ بالسنة.

فالسنة بيان وتفصيل وتشريع ببديهة فهم القرآن، وضرورة تطبيق

القرآن، وضرورة إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وغير ذلك من أبواب العبادات والمعاملات.

السنة ضرورة لفهم القرآن وتطبيقه.

الإشكال السادس:

واقع الأمة مُطبق على أن السنة وحي إلهي، فهذا واقع الأمة عبر كل تاريخها، والنبى ﷺ كان يُخاطب الناس باعتبار أن السنة وحي إلهي، وهذا كان حال الصحابة مع السنة فهم يعتبرونها وحيًا إلهيًا، وكان هذا حال الأمة عبر كل تاريخها مع السنة.

ولذلك أوصى ﷺ بتبليغ سنته للناس: "نَصَّرَ اللهُ امرأَ سَمِيعٍ مَنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ رَبُّهُ مُبَلِّغٌ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ" (١).

فلماذا يأمر ﷺ بتبليغ سنته للناس.

ولماذا يقول: رَبِّ مُبَلِّغٌ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ.

أليس في هذا دليل أن السنة فيها فقه سيُستنبط ويُطبق.

وهذا لا يكون إلا لو كانت السنة حجة شرعية تثبت بها الأحكام وفقه

الدين.

(١) سبق تخريجه.

ثم السؤال الثاني: لماذا كان النبي ﷺ يُكرر الحديث "ولا يَسْرُدُهُ سَرْدًا" (١).

كان ﷺ يفعل ذلك حتى يُساعد الصحابة على حفظ الحديث، وضبط لفظ الحديث.

ثم السؤال الثالث: لماذا كان النبي ﷺ يضرب الأمثلة في شرحه؟ لماذا كان يستعمل الوسائل التوضيحية مثل: تشبيك الأصابع، والإقران بين السبابة والوسطى، والرسم، لبيان المعاني الشرعية؟

لماذا يفعل كل هذا إذا كان الحديث النبوي ليست له قيمة تشريعية؟

لماذا كان الصحابة يحفظون الحديث زمن النبي ﷺ؟

قال أنس بن مالك رضى الله عنه: "كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه" (٢).

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يُخصّص ثلث الليل لحفظ أحاديث رسول الله ﷺ.

لماذا هذا الحرص على حفظ الحديث؟

ثم سؤال آخر: لماذا حذر النبي ﷺ في الحديث المتواتر من الكذب

(١) مسند أحمد، ح: ٢٥٠٧٧، درجة الحديث: حسن.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي، الخطيب البغدادي ١-٣٦٣.

عليه، فقال: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"؟^(١)

وهذا الحديث متواترٌ، رواه مائتا صحابي، فلماذا النبي ﷺ يحذر أُمَّته أشدَّ التحذير من الكذب عليه؟

لماذا يُحذَرُ أُمَّته من افتراء أي حديث عليه؟

لماذا طالما أنَّ السُّنة ليست لها حُجْية، لماذا هذا التحذير الشديد والوعيد بالنار؟

ثم كيف تشتمل كثير من الأحاديث على أمور غيبية: أحاديث تتكلم عن أمور غيبية؟

ورود أمور غيبية في الأحاديث دليل أن السُّنة وحيُّ يوحى، وإلا فكيف علم النبي ﷺ بهذه الأمور الغيبية إن لم تكن وحيًا من الله؟

فإنكار السنة يطرح إشكالاتٍ لا حصر لها.

الإشكال السابع:

كيف أجمعت الأُمَّة عبر كل تاريخها على بديهة اعتبار الحديث هو المصدر الثاني للتشريع، فحرصت الأُمَّة على نقل الحرف من فمه ﷺ، حرصت على ضبط كل حرف خرج من فمه الشريف؟

(١) صحيح البخاري، ح: ١٢٩١.

كيف أطبقت الأمة على العمل بالسنة والقطع بحجيتها، ولم يشذ في هذا شخص واحد من سلف هذه الأمة، ولم يشذ في هذا صحابي واحد، أو تابعي واحد، أو أحد من تابعي التابعين، فالكل مُطبق على كون السنة هي المصدر الثاني للتشريع؟

كيف يُطبق سلف هذه الأمة على هذه البديهة؟

كيف يُطبق خير هذه الأمة: الصحابة على اعتبار السنة المصدر الثاني للتشريع وهم الذين زكّاهم الله في كتابه؟

الصحابة هم أفهم الناس لدين الله، وأعلمهم بمراد الشرع، وأتقاهم لله، كيف أطبقوا على التسليم بكون الحديث هو المصدر الثاني للتشريع؟
والآن سؤالي: ما هو الفرق بين مُنكر السنة الذي لا يريد أن يسمع شيئاً من النبي ﷺ، ويقول: عندي القرآن وكفى، وبين المنافقين في عهد النبوة؟

المنافقون كذلك لم يكونوا يريدون الاستماع للنبي ﷺ: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴿[٤١] سورة المائدة].

لَمْ يَأْتُوكَ: لا يأتون للنبي ﷺ.

هم لا يحتاجونه.

فالسؤال: ما الفرق بين مُنكر السنة وبين المنافق الذي يرفض المجيء

للنبي ﷺ؟

فالمنافق يزعم أنه يطيع الإسلام بلسانه، لكنها في الواقع طاعة كاذبة:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ [سورة النور: ٥٣].

الله يقول لهم: ﴿لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ فهذه طاعة باللسان

فقط، وليست بالقلب... طاعة منافق، وليس طاعة مسلم.

لكن من باب الإنصاف نقول: إنَّ المنافق أكثر توقيراً للسنة من منكر

السنة.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ: لئن أمرهم النبي

ﷺ بأي أمر سينفذون أمره.

لكن منكر السنة سيقول للنبي ﷺ: لا أُسلم بحديثك، وليس لك

عليّ أمر.

فالمنافق أكثر احتراماً للسنة، وأكثر توقيراً للنبي ﷺ من مُنكر السنة.

وهنا لو انتبهت في الآية السابقة ستجد أن اتباع السنة بديهة واجبة

عند كل من يزعم أنه مسلم: ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ فهذا مقتضى حال

المسلم، وبديهة من بديهيات تسليمه بنبوة النبي ﷺ.

الإشكال الثامن:

المشكلة الأكبر في إنكار السنة أنها بؤابة الإلحاد في الدين.

فلو افترضنا أن شخصاً قال: الصلاة هي أن تتصل بالله بمجرد النظر للسماء، وليس هناك ركوع، ولا سجود، ولا فروض، ولا ظُهر، ولا عصر، ولا مغرب.

هنا لن يجد منكر السنة أمام هذا الإلحاد في الدين أيّ نقدٍ أو ردٍّ.

لأنه لن يملك دليلاً على تخطئة هذا الإلحاد.

ولن يجد في القرآن ما يُسعفه من رد هذا الإلحاد.

لذلك فإنكار السنة هو بؤابة النفاق والإلحاد، وهو بنفسه يؤدي إلى النفاق والإلحاد، وهو مدخل المنافقين والملحدين في الدين.

سَلِّمَ اللهُ شَبَابَ أُمَّتِنَا مِنْ هَذَا الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.



١٠- لكن الله ﷻ يقول:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

فالقرآن فيه كل شيء، فما حاجتنا للسنة؟

ج: دعنا نقرأ الآية كاملة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨].

الكتاب بنص الآية هو: "اللوح المحفوظ"، فاللوح المحفوظ فيه خبر كل دابة، وكل مخلوق، فهل في القرآن خبر كل دابة وكل مخلوق؟
الجواب: لا.

فـ"الكتاب" في الآية هو: اللوح المحفوظ.

لكن قد يسأل سائل ويقول: وماذا عن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٨٩]؟

والجواب: القرآن دستور كامل يأتي بالقواعد الكلية، أما التفاصيل لهذه القواعد فيُحال فيها للحديث].

وهناك بديهة يعرفها المشرِّعون عبر العالم، وهي أن: الدستور قواعد، وليس قوانين.

يقول المشرعون: لا يصح أن يكون في الدستور مواد مفسرة.

فالتفسير يكون في كتب القانون.

ولكلام الله المثل الأعلى، فهذا حال الكتاب والسنة فـ: القرآن دستور، والسنة مفسرة للقواعد الكلية في القرآن.

ثم إنه من المعلوم يقيناً أن: القرآن لم ترد فيه كل جزئية من جزئيات الشريعة.

فليس في القرآن من أحكام الصلاة إلا تقرير وجوبها، والأمر بحسن أدائها.

وليس في القرآن من أحكام الزكاة إلا الأمر بأدائها، وبيان مصارفها. والكلام نفسه بالنسبة للحج والصيام.

أما كيفية إقامة الصلاة، وأركان الصلاة، وواجباتها، وسُننها، وعدد الركعات، وعدد الصلوات، ومواقيت الصلوات، وكيفية السجود والركوع، فكل هذه الأمور لا وجود لها في القرآن الكريم، وإنما هي في السنة فقط.

وقل الشيء نفسه في أركان الإسلام الأخرى.

فكل الأحكام التي عليها مدار الدين يُبين فيها القرآن الأصول والقواعد العامة، بينما التفاصيل تكون في السنة النبوية.

والقرآن تبيان لكل شيء من وجه آخر، فهو تبيان للقواعد العامة، وفي الوقت نفسه تبيان لطريق الإحالة لفهم هذه القواعد وتطبيقها:

تبيان للقواعد العامة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة].

وتبيان لطريق الإحالة لفهم وتطبيق وتفسير كيف نقيم الصلاة: بالإحالة إلى الطريق الذي تُعرف به تفاصيل الأحكام.

فهو يُحيل إلى السنة لمعرفة تفاصيل الأحكام: ﴿لِئُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل].

فالقرآن يحيل إلى السنة المبيّنة.

فالقرآن يأمرك بإقامة الصلاة، ويحيلك للسنة حتى تعرف تفاصيل وكيفية إقامة الصلاة.

إذن بهذا يكون القرآن تبياناً لكل شيء فهو: تبيان للقواعد العامة، وتبيان لطريق الإحالة الذي تفهم به كيف تقيم الصلاة.

وكما قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ" ^(١).

فهو ﷺ يبين لهم التطبيق العملي: (يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ) في مناسك هذا الدين.

(١) صحيح مسلم، ح: ١٢٦٨.

إذن فالقرآن يحيل للسنة التي فيها تفصيل القواعد.

وهنا قد يُطرح سؤال في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت: ٥١]، فيقول السائل: إذن فالقرآن كاف؟

والجواب: لنقرأ الآية والآية التي قبلها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت: ٥١، ٥٢].

كان الكفار يريدون آيةً على صدق نبوته ﷺ، فأخبرهم الله ﷻ بأعظم آية، وهي هذا الكتاب - القرآن الكريم - ألا يكفيهم هذا الكتاب المعجز بتشريعاته ومعناه وقصصه، والمعجز بلفظه، والمعجز بدقائق أخباره، والمعجز بلهفة القلوب إليه، والمعجز بخطابه لوجدان كل إنسان على حدة بحسب همه وما يشغله، ألم يكفهم هذا القرآن الذي نزل على رجل أُمي يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، ألم يكفهم كآية على صحة هذا الدين؟ فهذا هو تفسير الآية، وليس أن القرآن يغني عن السنة.



١١- كيف تؤمنون بعذاب القبر وعذاب القبر لم يرد في القرآن؟

ج: أولاً: السنة كما فصلنا هي تشريع مستقل كالقرآن.

فقد يرد في السنة النبوية حكم شرعي مستقل ليس في القرآن.

وعذاب القبر ونعيمه وردت فيه أحاديث متواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما أحاديث عذاب القبر، ومسألة
منكر ونكير، فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ^(١).

ومثال ذلك ما في الصحيحين:

مرَّ النبي ﷺ بِحَاطِطٍ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَاتَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: يُعَذِّبَانِ، وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ^(٢).

وفي صحيح مسلم: إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا
وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ^(٣).

(١) مجموع الفتاوي، م ٤ ص ٢٨٥.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٢١٦.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٥٨٨.

وفي صحيح مسلم أيضًا: قال رسول الله ﷺ: فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَجهِهِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١).

فقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فيجب اعتقاد ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له في هذه الدار^(٢).

وكل من مات وهو مستحق للعذاب يُعَذَّب، سواء دُفن أو لم يُدفن.
فعذاب القبر ونعيمه حق.

ثانيًا: عذاب القبر لم يثبت فقط بالسنة المتواترة بل هو ثابت أيضًا بالقرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: ٤٦].

فهذا عذاب حاصل قبل يوم القيامة بظاهر الآية بلا شك.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ

(١) صحيح مسلم، ح: ٢٨٦٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ثبوت عذاب القبر ونعيمه.

يُضَعَّفُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾
[سورة الطور: ٤٥-٤٧].

روى الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: هو عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة.

وهنا قد يسأل سائل فيقول: لكن الله ﷻ يخبر عن الكافرين يوم القيامة أنهم سيقولون: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [سورة يس: ٥٢].

الجواب: وهل نحن أنكرنا أننا سنُبْعَث يوم القيامة من مرقدنا؟

هذا لا ينفي عذاب القبر.

وعذاب القبر بالنسبة لأهوال القيامة كأنه راحة... كأنه مرقد.

أيضاً لا ننسى أننا بين النفختين سنرقد.

سترقد كل مخلوقات الله ﷻ قبل أن تُبعث يوم القيامة.

فإذا نُفِخَ النفخة الثانية خرج الجميع إلى محشرهم.

وهنا أودُّ أن أبشِّر المؤمنين بأن حياة المؤمن في قبره ستمرُّ سريعاً،

كما سيتمرُّ عليه يوم القيامة سريعاً، قال الله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٤].

فالحساب ينقضي في نصف نهار قبل وقت المقيّل.

قبل وقت القيلولة سيكون أهل الجنة على سُرُرهم متقابلين.

نسأل الله أن يجعلنا معهم.

وقال النبي ﷺ: "يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ"^(١).



(١) صحيح الجامع، ح: ٨١٩٣.



⑫- ما سرُّ الأحاديث

الكثيرة التي رواها أبو هريرة

ج: أبو هريرة رضي الله عنه كان رأساً في القرآن والسنة كما يقول الذهبي.

قال الذهبي: "أبو هريرة سيد الحُفَظ الأثبات... أين مثل أبي هريرة في حفظه، وسعة علمه.

إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول ﷺ، وأدائه بحروفه" ^(١).

وقال عنه الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

وكان لسعة علمه ينزل الحسين بن علي رضي الله عنه عند رأيه ^(٢).

والسرُّ في فقه أبي هريرة وحفظه لهذا العدد من الأحاديث أنه كان ألزم الصحابة لرسول الله ﷺ، فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار، إلى أن مات ﷺ ولذلك كثر حديثه.

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب كما ورد في صحيح سنن الترمذي:

"يا أبا هريرة، أنت كُنْتَ ألزَمنا لرسول الله ﷺ، وأحفظنا لحديثه" ^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء ٢م ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣م ص ٩٠.

(٣) صحيح سنن الترمذي، ح: ٣٨٣٦.

فهذا شهادة من الصحابي الجليل عبد الله بن عمر في حق أبي هريرة رضي الله عنه.
ففي السنوات الأربع الأخيرة للنبي ﷺ كان أبو هريرة ملازمًا لرسول الله ﷺ ملازمة تامّة، كما يقول ابن حجر: "كان يدور معه، ويدخل بيته، ويحج ويغزو معه، يرافقه في حله وترحاله، في ليله ونهاره حتى حمل عنه العلم الغزير، وصار مرجع الناس، ومرجع الصحابة في الفتيا بعد وفاة النبي ﷺ"^(١).

وقد روى عن أبي هريرة حوالي ثمانية وعشرين صحابيًا؛ وهذا لثقتهم في علمه، وقربه من رسول الله ﷺ، فقد روى عنه زيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة، وغيرهم الكثير رضي الله عنهم، كما روى عنه وتلمذ عليه مئات من التابعين، فقد روى عنه من التابعين حوالي ثمانمائة تابعي.

قال البخاري: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر^(٢).

وأيضًا ما ميّز أبي هريرة رضي الله عنه أنّه تأخرت وفاته، واحتاج الناس إلى علمه، حيث إنّه عاش إلى ما بعد الخمسين من الهجرة، فأقبل عليه طلاب العلم.

(١) الإصابة، ابن حجر، ٧م ص ٤٣٣.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١م ص ٣٦. وابن حجر: الإصابة ٤م ص ٢٥٥.

وما ميّزه أيضًا قوّة حفظه.

وقوة حفظ أبي هريرة كانت ببركة النبي ﷺ حين قال أبو هريرة: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ؟ قَالَ: ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ"^(١).

وذات يوم دعا أبو هريرة ربّه قائلًا: أسألكَ عِلْمًا لَا يُنْسَى، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: آمين^(٢).

فكان ﷺ أحفظَ الناسَ لحديث رسول الله ﷺ، وكان يُخصّصُ ثُلثَ الليل لحفظ أحاديث النبي ﷺ.

وهنا السؤال المهم: كم عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة ﷺ؟
والجواب: عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة بغير المكرر هي: ١٣٣٦ حديثًا.

وهذا لا يصعبُ على إنسان حفظه.

بل هذا العدد من الأحاديث يحفظه طالب العلم في ستة أشهر.
وكثير من طلاب العلم اليوم يحفظون بلوغ المرام، وعدد أحاديث بلوغ المرام أكبر من هذا العدد.

(١) صحيح البخاري، ح: ١١٩.

(٢) الإصابة، ابن حجر، م ٤ ص ٢٠٨.

والسؤال الأهم: كم عدد الأحاديث التي انفرد أبو هريرة بروايتها؟

والجواب: انفرد أبو هريرة رضي الله عنه برواية ٤٢ حديثاً فقط!

تخيل!

كل الهجمة على أبي هريرة من أجل ٤٢ حديثاً!

طبعاً من يهاجمون أبا هريرة لا يعرفون هذه المعلومات، ولا يعرفون إلا الهجوم على الدين، فيأخذون أبا هريرة طريقاً للهجوم على الإسلام والسنة. فأبو هريرة صار رمزاً لرواية الحديث.

ولما أرادوا الهجوم على الحديث بحثوا عن الرمز، فذهبوا لأبي هريرة. وإلا فلو كانوا يعرفون أن أبا هريرة لم ينفرد إلا باثنين وأربعين حديثاً عن رسول الله ﷺ لاستحووا من كذبهم.

ذات يوم قعد محمد بن عمار بن عمرو بن حزم الأنصاري في مجلس فيه أبي هريرة رضي الله عنه وكان المجلس يضم كبار الصحابة، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي ﷺ بالحديث، فلا يعرفه بعضهم ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم، حتى فعل ذلك مراراً.

قال محمد بن عمار: فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله

ﷺ (١).

(١) التاريخ الكبير، البخاري، م ١ ص ١٨٦.

وأراد مروان ابن الحكم أن يختبر قوة حفظ أبي هريرة فدعاه وأقعد كاتبه خلف السرير، وجعل يسأل أبا هريرة في الأحاديث، وأبو هريرة يجيب، والكاتب يكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول - بعد مضي عام - دعاه مرة أخرى، فسأله الأسئلة نفسها. يقول الكاتب: فما زاد أبو هريرة ولا نقص ولا قَدَم ولا آخر^(١).

فأبو هريرة رضي الله عنه إمام الحديث من الصحابة، وقد دعا له النبي ﷺ بأن يحبيه الله إلى المؤمنين.

قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا، وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ".

يقول أبو هريرة: فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي^(٢).

فحب أبي هريرة علامة أهل الإيمان.

نُشهد الله على حبه.

رضي الله عنه وأرضاه.



(١) الحاكم في المستدرک، ح: ٦١٦٤.

(٢) صحيح مسلم، ح: ٢٤٩١.

١٣- هل هناك أحاديث

تفرد البخاري بها في صحيحه؟

ج: هذا كلام لا يقوله إنسان يعرف شيئاً في علم الحديث.

وللأسف هذه الأسئلة المضحكة تنتشر بين نُفَاة السنة.

فالبخاري جمع أغلب ما صحَّ عن رسول الله ﷺ.

وهو فقط قام بتوثيق نقل كل حرف خرج من فم رسول الله ﷺ، قام بتوثيق الروايات، ووضع لذلك شروطاً قاسية بحيث يصبح كتابه أدق كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله.

فهو جمع الأحاديث بضبط وتوثيق الرواية لأبعد مدى.

كان هذا مشروع البخاري.

فقد جمع هذه الأحاديث ثم رتبها وقسمها وطرزها بعناوينه الفقهية، وأثبت طرقها المتصلة منه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وطبعاً كل حديث في البخاري بالبداية مكتوبٌ ومحفوظٌ منذ زمن الصحابة.

فكل حديث في البخاري تستطيع أن تعرف مصدره ومرجعه ورواته،

لكن البخاري جمع أغلب ما صحَّ من أقوى الطرق، وضَبَطَ الرواية، وبَوَّبَ الأبواب.

وأغلب ما في موطأ مالك على سبيل المثال موجودٌ في صحيح البخاري، والموطأ يروي فيه مالك بعض أحاديثه عن نافع عن ابن عمر. فبين نافع الذي ينقل عنه مالك وبين النبي ﷺ عبد الله بن عمر الصحابي الجليل.

فالموطأ ذلك الكتاب عظيم الشأن، القريب العهد بوفاة النبي ﷺ موجودٌ أغلبه في البخاري.

وما في البخاري موجود أيضًا عند ابن جريج، وابن أبي عروبة، وعند معمر بن راشد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، والأوزاعي، والثوري، وحمام بن سلمة بن دينار، والإمام الزُّهري شيخ مالك، فما في البخاري موجود عند هؤلاء وكل هؤلاء دونوا الحديث قبل البخاري.

إذن لا يوجد حديث عند البخاري إلا ويمكنك أن تعرف سنده من غير طريق البخاري.

قال الإمام مسلم يومًا للبخاري: "لا ييغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك، وقال له بعد أن قَبَّلَ ما بين عينيه: دَعْنِي أَقْبَلُ رِجْلَيْكَ يَا طَيِّبَ الْحَدِيثِ فِي عِلِّهِ، وَيَا أَسْتَاذَ الْأَسْتَاذِينَ، وَيَا سَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ" (١).

(١) المدخل إلى علم السنن، البيهقي ١/ ٢٦٨.

فالبخاري هو أمير المؤمنين في الحديث، وقد اختار أقوى الطرق لأغلب ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث، فبعد أن أثقنَّ كل الأحاديث أخرج صحيحه، قال الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس: جَهَذْتُ كُلَّ الْجَهْدِ عَلَى أَنْ آتِيَ بِحَدِيثٍ لَا يَعْرِفُهُ الْبَخَارِيُّ، فَمَا امْكِنْتَنِي^(١).

وقال الإمام ابن خزيمة: ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلمَ بحديث رسول الله ﷺ وأحفظَ له مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ^(٢).

ولما سمع أهل بغداد بحفظ البخاري ودَقَّتِهِ، أرادوا امتحانَهُ، فعمدوا إلى مائة حديثٍ، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متنَ هذا لإِسْنَادِ هذا، وإِسْنَادَ هذا لمتنِ ذاك... مائة حديث قَلَّبُوا أَسَانِيدَهَا، فصار سند الحديث الرابع مثلاً مكان سند الحديث الخامس عشر وسند الحديث الثالث والأربعين مكان سند الحديث التاسع والخمسين وهكذا.

ودفعوا إلى كُلِّ واحدٍ عشرةَ أحاديثٍ لِيُلْقَوْهَا عَلَيْهِ فِي الْمَجْلَسِ.

فجاء الطلاب، واجتمع الناس، وبدأ الطالب الأول يقرأ السند، ثم قرأ الحديث فقال البخاري: لا أعرفه.

ثم قرأ الثاني، وقال البخاري: لا أعرفه.

(١) فتح الباري ١/ ٤٨٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٢/ ٤٣١.

وهكذا في كل حديث.

فتعجب الناس!

أنه لا يعرف أي حديث!

لكن الفقهاء الذي قاموا بالاختبار التفت بعضهم لبعض وقالوا:
الرجل فهم - أدرك الحيلة.

فلما فرغ الطلاب من إلقاء المائة حديث، والبخاري يقول لكل
حديث: لا أعرفه.

بعد انتهائهم التفت البخاري إلى الأول، فقال: "أما حديثك الأول
فهو كذا، وحديثك الثاني كذا... إلى آخر العشرة؛ فردَّ كل متن إلى إسناده،
وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ"، فأقرَّ له الناس بالحفظ والضبط
والإتقان.

لقد قام البخاري بآية عجيبة في هذا المجلس؛ إذ ردَّ كل سند لكل
حديث بترتيبه.

فقال للأول على سبيل المثال: حديث الأول سنده عند الحديث
الثامن والثلاثين، وحديثك الثاني سنده عند الحديث الرابع والأربعين،
وهكذا إلى تمام المئة.

قال الحافظ ابن حجر في هذه الواقعة العجيبة: "ليس العجب من ردِّه

الخطأ إلى الصواب؛ فإنه كان حافظًا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة" (١).

لقد كان البخاري آيةً من الله ﷺ.

قال رجاء بن مَرْجَى: "هو آية من آيات الله يمشي على الأرض" (٢).



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ١/ ٤٨٦.

(٢) البداية والنهاية، م ١٤ ص ٥٣٠.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- ١- ما هو فكر التنوير؟ ٧
- ٢- ما هو التنوير المطلوب؟ ٣٠
- ٣- مَنْ هم منكرو السُّنة؟ ٣٣
- ٤- ما هي منزلة السُّنة في الإسلام؟ ٤١
- ٥- هل السُّنة كُلُّها مكتوبة؟ ٥٣
- ٦- هل تأخر تدوين السُّنة النبوية لـ ٢٠٠ سنة كاملة حتى جاء البخاري؟ ٦٨
- ٧- لماذا يهاجم دعاة حركة التنوير الصحابة؟ ٨٢
- ٨- ما معنى حديث الأحاد، وما الفرق بينه وبين الحديث المتواتر؟ ٩٣
- ٩- ما هي الإشكالات العقلية التي تواجه منكري السُّنة؟ ١٠٦
- ١٠- لكن الله ﷻ يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فالقرآن فيه كل شيء، فما حاجتنا للسُّنة؟ ١١٩
- ١١- كيف تؤمنون بعذاب القبر وعذاب القبر لم يرد في القرآن؟ ١٢٣

- ١٢- ما سرُّ الأحاديث الكثيرة التي رواها أبو هريرة؟ ١٢٧
- ١٣- هل هناك أحاديث تفرَّد البخاري بها في صحيحه؟ ١٣٢
- فهرس الموضوعات ١٣٧

